على طريق النصر



قصة 400 شاب «مجاهد»



الكهرب والملغم ...

بقلم:
محمد بن اسماعيل





بسم الله الرحمن الرحيم

لمزيد من الحس الثقافي
لإدراك أبعاد بعض الجوانب
من الصفحات المشرقة من سجل
تاريخ الثورة الجزائرية الحافل
بالبطولات والمفاخر:

إقرأ

قصة 400 شاب مجاهد

أُخذت صورة الغلاف من مجلة أول نوفمبر
العدد: 51/1981م. بتصرف

الطبعة الأولى شهر رمضان 1423 هـ. الموافق
لشهر مارس 1999 م.

على طريق النصر

قصة 400 شاب مجاهد

بقلم: محمد بن اسماعيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة وفاء

كاتب هذه القصة ولد وعاش أحداث الحرب التحريرية، طفلا ومجاهدا بدوار الحواسنية،بلدية جمعة أولاد الشيخ المتاخمة لجبل عمرونة والونشريس،كتبها سنة 1963م وظلت أدراج مكتبة... قصة حقيقية من أفواه أبطال عاشوها لحظة بلحظة، «فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا*»، «قصة يمتزج فيها التاريخ بالشهادة،والشهادة بالتاريخ كأروع ماتكون التضحية والإخلاص للذين ماتوا وهم يعلنون الوفاء لله والأمة والوطن والأرض، دعوة لجيل مابعد الإستقلال حتى يكونوا خير خلف لخير سلف... مذكرات تجنب فيها صاحبها أفانين القصص والروايات الحديثة،متوخيا في ذلك تبليغ وتصوير الأحداث كما حدثت لاكما يحلوله عبر ذكريات وعذابات كل الذين عاشوا ويلات وآلآم القمع الإستعماري الذي كان مسلطا على رقاب الذين قالوا: لا للإستعمار.. النصر والإستشهاد من أجل أن تحيا الجزائر حرة كريمة.

إنها حرارة قلب، وذكريات حلوة مرة، فهل هكذا نحبك ياوطني؟. ويا وطن الشهداء؟!!

محمد بن إسماعيلي

خميس مليانة في:

12 جمادى الثاني 1409 هـ

الموافق لـ: 20 يناير 1989

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذه الذكريات إلى أحب الناس إلي:

- إلى ارواح شهداء الجهاد المقدس.

- إلى كل المجاهدين في الدول العربية الإسلامية على مدى الأيام والأزمان.

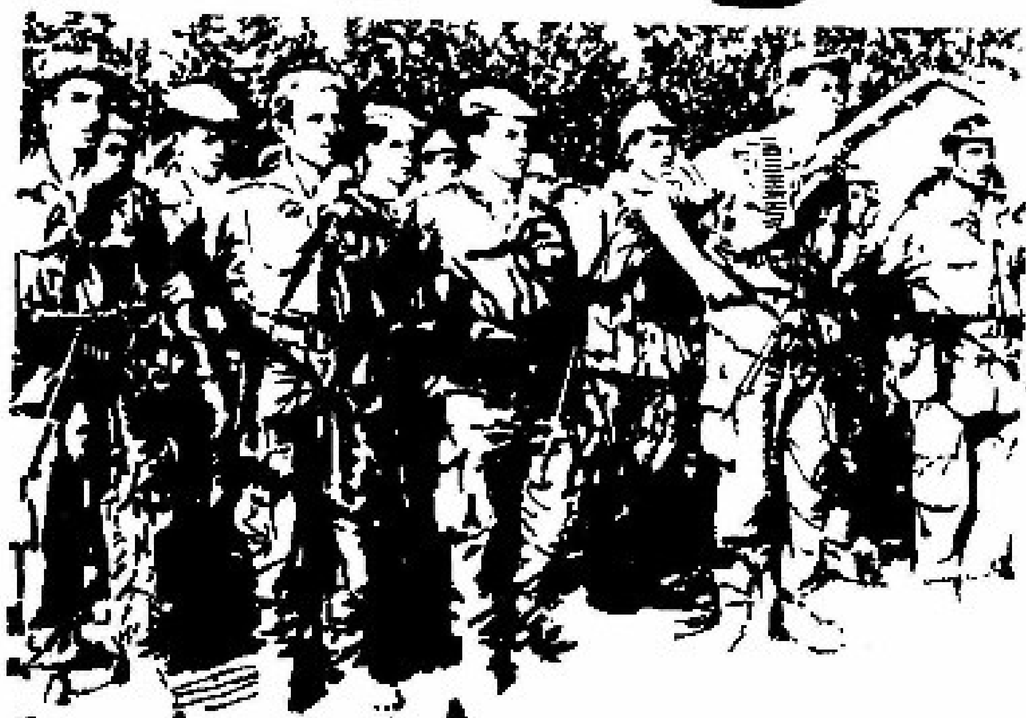
- إلى ذوي الشهداء.. كل الشهداء، الذين استردوا شرف ومجد الأمة العربية الإسلامية.

-إلى شهداء المسجد الأقصى، إلى الفلسطينيين والعرب الذين يقدمون النفس والنفيس لاسترجاعه وتطهيره من دنس اليهود والصهيونية.

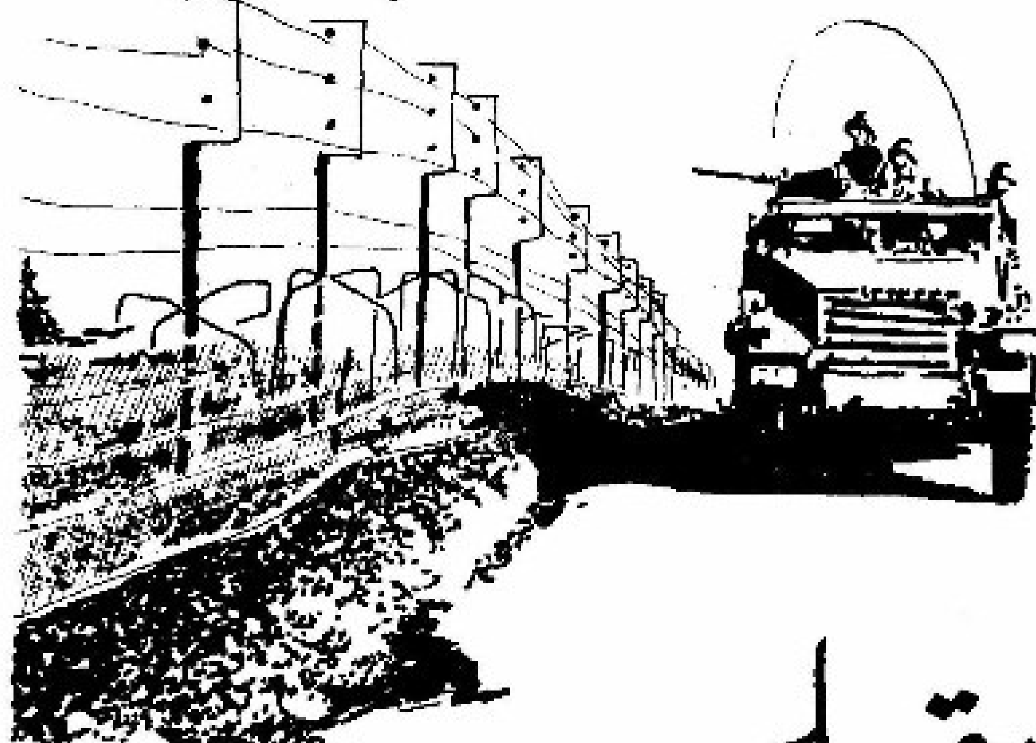
- إلى كل جندي من جنود الخفاء الذي حمل راية الإسلام خفاقة.

محمد بن إسماعلي

على طريق النصر



قصة 400 شاب مجاهد



بقلم

محمد بن إسماعيل

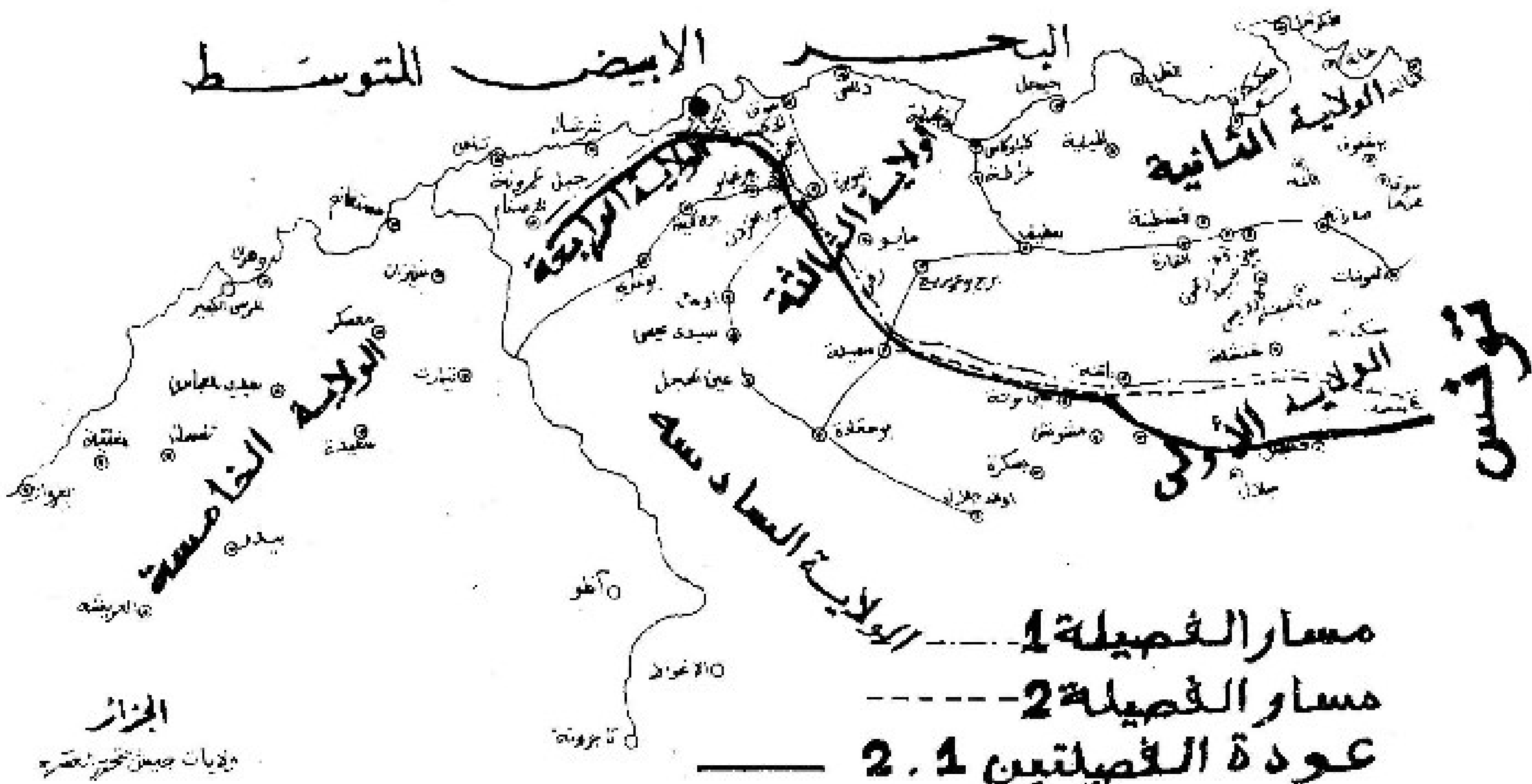
روائع الذكريات

.. ذكريات الرحلة المثيرة، لازالت عالقة بأذهان اثني عشرة مجاهداً عاشوها لحظة بلحظة، خطوة بخطوة.. ذاقوا كل سرائها وضرائها، ولايزالون على قيد الحياة إلى حين كتابة هذه الذكريات، وهم الإخوة الأفاضل: ظريف الجيلالي/ رابح بلعباس المدعو الشيخ/ الشايشي البغدادي.معروف عباس/ مصطفى قوادري عبد القادر/ بوزيان الطيب/ ظريف أحمد/ وكلهم يقيمون بخميس مليانة، أما حمزة علي المدعو بوعشرة وعبد القادر الونشريسي فيقطنان بمليانة. بينما يسكن عنصر عبد القادر ومسطاش أحمد بعين الدفلى، في حين يقطن عبد القادر بن بوعلي بحمام ريغة والمخفي بحجوط وعبد القادر عزيزو بالخميس.

ذكريات هؤلاء تعتبر من بين أهم ذكريات ثورة التحرير وأخلدها، لما تكتسبه من تضحيات جسام وخطوب جمة، ومن آثار نفسية بليغة لاتنمحي من ذاكرتهم...

هم أبطال الرحلة وهم الدين يروون أحداثها بالتفصيل إنطلاقا من جبال عمرونة بالمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة إلى تونس ثم العودة إلى مكان إنطلاقهم...

كانت ولازالت ذكرياتنا عن المعارك التي شاركنا فيها عالقة بأذهاننا، وذكريات رحلتنا من جبال عمرونة بالذات من أهم ذكريات حياتنا العسكرية، كما أنها من أعز وأقسى ذكريات حياتنا كلها، ذلك لأن ذكريات شبابنا وكل الشباب هي أحلى أدوار الحياة في التضحية والعطاء. إنه الدور الذي يكون فيه الإنسان في قمة قوته وحماسه، دور يستطيع فيه تحقيق النصر والمجد لنفسه ووطنه ومجتمعه معا، كان دورنا يومذاك هو تحرير الوطن والأمة من السيطرة والعبودية، يتضح ذلك الدور الأسمى الرائع في الرحلات العديدة التي قام بها المجاهدون



الخريطة من كتاب ثوار الجزائر للدكتور يحي بوعزيز بتصرف

الكبار منهم والشباب انطلاقا من الولاية الرابعة بإتجاه المغرب الأقصى غربا، وشرقا بإتجاه تونس لأداء المهام الخاصة المتمثلة في التدرب على الأسلحة المتطورة ثم جلبها إلى رض الوطن.

هذا وقبل أن نمضي في سرد تفاصيل رحلتنا إلى تونس سنة 1957، لابد أن نزود القارئ الكريم بفكرة موجزة عن حالة جيش التحرير الوطني بالمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة سنتئذ.

- إلتحق بجيش التحرير الوطني بهذه المنطقة عدد كبير من الشباب والرجال المتطوعين منهم والمطاردين من قبل إدارة العدو وهم دون أسلحة ودون تدريب...

- قلة الأسلحة المتطورة لدى مجاهدي هذه الولاية (الرابعة).

- إفتقار جيش التحرير الوطني وقتئذ إلى التدرب العسكري الجيد وإلى المعدات القتالية افتقارا شديدا، فمعظم أسلحته كانت بنادق صيد،ولم يكن يملك رشاشات طويلة المدى لمواجهة طائرات العدو التي أصبحت تحدث خسائر جسمية في صفوف المجاهدين بالمنطقة.

- تفوق العدو الساحق عدة وعتادا وتدريبا.

- بعد المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة عن الحدود الشرقية والغربية لجلب الأسلحة المتطورة.

نظرا لهذه العوامل وغيرها قامت قيادة الولاية الرابعة بإرسال دوريات متتالية نحو الشرق والغرب،انطلاقا من جبل الونشريش وعمرونة، يتكون أفرادها من شباب المناطق الثلاثة للولاية الرابعة في ذلك الوقت.

في آخر شهر أكتوبر عام 1957 .قام الأخ محمد بوقارة رحمه الله بتشكيل فصيلة تتكون من أربعين فردا،وكنا نحن الرواة من ضمن هذه التشكيلة الشابة التي كان يتسم كل أفرادها بالحيوية والحماس الوطني الفياض. وقد قام باختيار عناصر التشكيلة الأخوان:محمد بوقارة وسي الأخضر رحمهما الله،ثم جمعونا في أحد المواقع بجبل عمرونة أين اطلعونا (عناصر التشكيلة) على المهمة والأهداف المتوخاة منها،مكثنا به يومين، وفي اليوم الثالث جاءنا قائد الولاية محمد بوقارة

رفقة فصيلة مدججة بالاسلحة،حينها قمنا بتحيته وتحية ضيوفنا العائدين من مهمة، وبعد تبادل التحية توسطنا وراح يتفقد أفراد التشكيلة الشابة واحدا واحدا.. ثم رفع يده وقال فيما معناه:

كلمة التوديع

بسم الله الرحمن الرحيم... إخوة الإسلام والجهاد.. في الوطن الجريح، السلام عليكم ورحمة الله وبعد: منذ أن وعى الإنسان الجزائري عز عليه دينه ومجتمعه ووطنه،وصبت نفسه... إلى الخلود.. أحس أن حياته الشخصية فانية، فآمن بالدين الإسلامي كي يخلد، وآمن بأمته كي تخلد، ثم آمن بالوطن، لأن الوطن هو الرمز الشامل المقدس لخلوده أحفاده وخلود جميع من تحمله هذه الأرض الطيبة التي منها يتنفس، بواسطتها يعيش ويحترم، ولكن الإنسان قوي وضعيف، باذل وأناني، وهو دائم التأرجح بين مصلحته الخاصة وبين ماعليه من واجب نحو الوطن والمجتمع اللذين يغدقان عليه خيرهما، فبقدر ما يقهر الإنسان أنانيته، وبقدر ما يتفوق على ضعفه وغرائزه، وبقدر ما يتألم وهو يبذل ويضحي من أجل الآخرين، يسمو في سلم التحضر الإنساني الصحيح، فيصل إلى ذروة الخلود الأسمى في الحياة والموت وبعد الموت من أجل وطنه وخير البشرية، وهذا مافعله إخواننا الذين سبقونا إلى شرف الاستشهاد في سبيل الله والوطن الجزائري الخالد.

لقد أحبوا وطنهم وكرامة أمتهم بكل قوى قلوبهم وإيمانهم وشبابهم، فما صدتهم عن ذلك قوة العدو وشراسته. أنكروا ذواتهم،وقهروا حبهم لأهليهم ونسائهم وفلذات أكبادهم، فوضعوا كرامة وطنهم وشعبهم فوق حبهم، ووضعوا وطنهم فوق نفوسهم، فخلدوا في الوطن الباقي فوق دنيا الحب البشرية الفانية.. فليكونوا لنا مثلا ما حيينا، واعلموا يا"الخاوة"، أن النصر لو يأتينا يرجع الكثير من الفضل فيه إلى الشهداء البواسل الذين استشهدوا من أجلنا جميعا. وعليه فنحن على دربهم سائرون، وعلى عهدهم واقفون حتى النصر المبين، حتى إجبار العدو على الرحيل من وطننا الحبيب،... حينها نعيش سعداء، أونستشهد جميعا، يومئذ ننعم بالشهادة مثل إخوتنا الذين سبقونا إليها، إلى جنات الخلد التي هي منال المجاهدين الصابرين الذين وعدهم الله بالخلود في جنات النعيم المطلقة في

قوله: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ». وحتى نكون ممن وعدهم الله بالنعيم الأبدي، لابد علينا يا «الخاوة» أن نقوم بما قام به الرجال الذين وصفهم الله في كتابه : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» صدق الله العظيم.

إخواني المجاهدين الشباب، لقد اختارتكم الثورة لتقوموا بمهمة تاريخية، مهمة شاقة وعظيمة في آن واحد؛ رحلة إلى تونس حيث إخواننا في الجهاد ينتظرونكم هناك، ولا أخفي عليكم أن رحلتكم ستكون محفوفة بالمخاطر، لكنني واثق من أنكم ستتغلبون على كل ما يعترض طريقكم بفضل حزمكم وإرادتكم الفولاذية التي لا تلين، وإيمانكم الفياض بثورتكم،وحبكم الجياش لوطنكم وأمتكم التي ترقب خطاكم بإعجاب،معلقة عليكم آمال إنتصارها على العدو الغاشم. إن المسافة التي أمامكم والتي ستقطعونها من هنا إلى تونس حوالي 800 كم، وستمرون بتراب الولاية الثالثة والسادسة، والأولى، ولما كان يتعذر علينا التنقل نهارا بالسهول والمناطق المكشوفة،نظرا لسيطرة العدو على الجو نهارا،فتنقلكم يكون ليلا بهذه الأماكن،ونهارا عبر السلاسل الجبلية الغابية.

أرجو منكم مساعدتي على إنجاح مصلحة الثورة بالطاعة والإنضباط،والتحلي بالشجاعة والصبر والإيمان بالله و الوطن.

إثر هذا أخرج قائد الولاية قائمة الفوج الأول وتلاها على مسامعنا،ثم سلمها إلى سي قويدر وقال: خذ هذه مأذونية تظهرها عندما يستوقفكم جيش التحرير بالولايات التي ستمرون مع ترابها للتحقق من هويتكم.. لا تنس.. هذه وثيقة أساسية لهوية أفراد الفوج، وكان سي قويدر أكبرنا سنا، قال هذا ثم تطلع إلى ساعته وقال: الآن الساعة الثانية زوالا.ياالخاوة سيروا في رعاية الله وحفظه.

انطلاقة الفصيلة الأولى

سرنا متتابعين نحو جبل اللوح.. كان الجو ممطرا. وكأن ظلام الليل قد خيم على الغابة قبل أوانه لكثافة السحب الدكناء.. وأثناء سيرنا نظرنا إلى بعضنا البعض وابتسمنا تعبيرا عن فرحتنا بأنّ إختارتنا قيادة الثورة من جهة، وللذهاب الى مجتمع جديد علينا، كان قد تحرر من إستعمار عدونا من جهة أخرى.

معظمنا كان لايعرف من الكرة الأرضية إلا القرية التي ولد فيها ونشأ. وربما الدشرة حتى،، كنا لانعرف وقتذالك المدن الجزائرية المشهورة مثل البليدة، الجزائر،، وهران،، وغيرها،، معظمنا ريفي لايتجاوز مجال تحركه ونشاطه قريته أو حتى دشرته.. كنا نعتقد أن قريتنا هي القرية الوحيدة في هذا الكون، وأن سكانها هم وحدهم على سطح هذه الأرض ولايوجد سواهم، وذلك نظرا لافتقارنا العام من حيث التعليم- المال- المعرفة- الإعلام- كل ماكان سائد عندنا هو العزلة التامة عن ماوراء نطاق حدود قرانا..

... في هذه اللحظات بدت علينا ملامح الإشراق والغبطة والسرور، وانتابتنا أحاسيس خاصة.. تصورنا لحظتها أشياء وأشياء..!!؟

كان سلاح بعضنا بنادق صيد وخناجر وقليل من المسدسات القديمة.. القليل منا سبق له أن تدرب على كيفية استخدام البنادق والمسدسات، لأننا شباب.. مجندون جدد.. أما لباسنا فكان معظمنا واضعا شاشا فوق رأسه، وقليلنا يضع قبعة على رأسه، وكلنا يرتدي سروايل طويلة،، سروايل نصرانية كما يسميها آباؤنا وأجدادنا، وفوقها قشابية صوفية من نسيج أمهاتنا، وحذاءا طويلا من نوع "البطوقاز" ولأول مرة تدخل فيه أقدامنا.. اللذان كانا يلبسان لباسا عسكريا كاملا هما قائدا فصيلتنا: الأخ البغدادي، وسي قويدر........ - وضعتنا القيادة تحت إشرافهما، حيث كان يحمل كل منهما مسدسا رشاشا...

أمرنا بالسير في حدود الساعة الثانية زوالا.. كان الجو مكفهرا، والسحب الداكنة كادت أن تلتصق بأشجار الصنوبر الكثيف وأسدل الظلام رداءه على المنطقة قبل مغيب الشمس...

تركنا عمرونة واتجهنا صوب قرية طارق بن زياد، وكلنا أمل باكتشاف الجديد، والعودة من تونس بالجديد..

سرنا بأحلامنا الجميلة وآمالنا العريضة وسط ممر غابي ضيق ذي منعرجات وإلتواءات،، نحو جبل بوكنافة المطل على قرية طارق بن زياد.. كنا نسمع من جبل الى آخر أصوات الطيور الغابية، كالصقور والغربان، ومن حين لآخر كانت تمر أمامنا الأرانب والذئاب، ومع مغيب الشمس وصلنا إلى جبل بوكنافة حيث توقفنا بمركز جيش التحرير، وبدأنا نسمع وقت الأصيل أصوات الحيوانات الغابية ونهيق الحمير، وصهيل الخيول، ونباح الكلاب،، وكنا نسمع مناداة ونداءات الآباء لأبنائهم أو لجيرانهم.. عندئذ أمرنا بالاستراحة بالمركز لمدة نجهل أجلها،، في هذه الآونة انحدر المحافظ السياسي صحبة الممون من الجبل ليأمر سكان الجهة بتحضير عشائنا.. بقينا ننتظر عودتهما بشوق شديد.

.. مرت علينا الدقائق ببطء ونحن ننتظر، وظلام الليل يلتهم الأفق شيئا فشيئا... خيم السكون العميق على المنطقة، ولم نعد نسمع شيئا ماعدا نباح الكلاب، ولم نكن نرى سوى أضواء مدينة خميس مليانة، تتلألأ من بعيد.. كنا نحسد كل سكان المدينة على ذلك،، لكوننا نعيش في ظلام دامس مخيف، وهم يعيشون تحت الأنوار المتوهجة.

بقينا بالمركز ننتظر بشغف شديد أمر سيرنا شرقا..إنتظارنا طال وثقل.. وددنا لو قضينا مدة الإنتظار هذه سيراً إلى حيث مبتغانا ومقصد مهمتنا وراء الحدود الجزائرية التونسية، أين تنتظرنا الرشاشات الآلية ومدافع الهاون والبازوكات لنتدرب عليها و الإتيان بها لنكيل للعدو الصاع صاعين..

في هذه الآونة وصل المحافظ السياسي وقال: لنتحدر يا الخاوة إلى سكان الجهة حيث عشاؤنا.. فهم ليسوا بعيدين عن الموقع.. سار وسرنا وراءه متتابعين مدة ساعة تقريبا.. وإذا بنا قرب مجموعة من البيوت المتناثرة هنا وهناك، وإذا بالكلاب تنفجر نباحا مسترسلا.. ويطلب منا الوقوف في أماكننا.. وقفنا ورحنا نصيغى السمع ونترقب باهتمام،، وإذا بأناس يتقدمون نحو الجهة التي كانت



التكامل بين الشعب وجيشه من العوامل الدائمة للحرب التحريرية .

الكلاب تتجه إليها وتنبح ويصرخ فيهم المحافظ السياسي من أنتم؟.. أجاب أحد السكان.. نحن سكان الدوار، ومن أنتم؟ نحن المجاهدون؟!!... تقدموا نحن في انتظاكم.. حينئذ تقدمنا إليهم وبعد المصافحة والترحيب قسمنا الممون إلى ستة أفواج، تكلف كل مواطن بعشاء فوج، تناولنا عشاءنا، وقضينا ثلثي الليل عندهم،، بعضنا نام نوما عميقا والبعض الآخر راح يخيط ملابسه ويحكي وينكت، في حين كانت النسوة تحضرن طعام نهارنا الموالي. غادرنا الدوار في حدود منتصف الليل باتجاه جبل اللوح الشاهق حين توقف نزول المطر وصفا أديم السماء، وظهر القمر مضيئا فوق قمة الجهة الشمالية من الجبل.. ياسبحان الله حتى القمر له أعداء يختفي من قوتهم؟ خرجنا من البيوت التي طردت عنا الجوع وقساوة البرد، وأدخلت في أجسامنا الدفء وفي نفوسنا الأمن والحياة وخرج هو الآخر من حاجب ومخفي ضوئه وراح يرسل ضياءه على المنطقة والجبال التي كساها الليل والغيوم لباسا داكن السواد، وأخذت أشعته تزيل الظلام الدامس، وتنير لنا ممر سيرنا الملتوي مع المرتفعات والمنعرجات، وترشدنا إلى شطر وجهتنا.. سرنا على ضوئه دون خوف من التيه في الأدغال والإنحراف عن مسارنا.. كنا نتمتع بالمنظر البديع الذي شكله ضوء القمر، ظهرت لنا الجبال من بعيد وكأنها عمارات شاهقة، أو مآذن شيدت بالجبل. لقد كان هذا بالنسبة*لنا مشهدا فريدا من نوعه، جعلنا نعتقد أن السماء اتصلت بالأرض رتعانقتا على قمة الجبل.

.. سرنا، وقت تكوّن هذا المنظر المدهش، متتابعين وراء فصيلة الصوفي المدججة بالسلاح المصاحبة لنا إلى المنطقة الأولى بجبال الأخضرية دون توقف إلى غاية الجهة الشرقية للجبل، حيث توقفنا مع مطلع الشمس..

من موقعنا كنا نرى حركات سكان القرى وتنقلاتهم إلى أعمالهم بصورة عادية.. ذلك أن سكان القرى يشرعون في أعمالهم مع بزوغ الشمس، بأحدى الشلال المشرفة على نواحي قرية دراق وقرى أولاد هلال، وسد وادي الشرفة.. بسرعة نصب الصوفي الحراسة وأمرنا بالإستراحة أو النوم لنستعيد قوتنا التي أخذها منا النعاس وعناء المشي في المرتفعات والمنحدرات.. احتمى كل منا بجذع شجرة، أو صخرة عن النسمة الباردة التي تهب باستمرار على المرتفعات وخاصة نهاية شهر أكتوبر.. نام جميعنا بأحلامه وأمانيه الجميلة التي بدأ يسعى بكل مايملك لتحقيقها، ماعدا القائمين بتبديل الحراسة والمراقبة.. نمنا إلى غاية منتصف النهار، حيث استيقظنا جميعا وغسلنا وتوضأنا بمياه الشعب وجداول المنحدرات المترقرقة.. بعد هذا أمرنا بتناول ما كان معنا من الخبز والزيتون.. وفي حدود الواحدة والنصف قمنا بأداء صلاة الفوائت فرادى ثم صلينا الظهر جماعة.. بعدها أمرنا بالسير نحو جبل أولاد بوعشرة.

في أولاد بوعشرة

سرنا باتجاهه عبر معبر غابي كثيف إلى أن أوقفتنا حراسة كتيبة سي عز الدين بحدود المنطقة الثانية.. حينئذ عرفنا بأننا خرجنا من منطقتنا الثالثة، وأصبحنا ضيوفا لدى مواطني ومجاهدي هذه المنطقة المضيافة.. كلنا يعرف سي عز الدين من خلال بطولاته، ولم نكن نعرفه شخصيا.. تعرف علينا قائد الكتيبة وتعرفنا عليه.. وصرنا من بين جنوده وتحت إمرته.. بقينا معه في دوار قريب من الجبل نتبادل أخبار الحرب، والمعارك وأعمال العدو التي ارتكبها هنا وهناك. وفي ساعة متأخرة(من الليل)من تلك الليلة التحقت بنا ثلاث كتائب أخرى.. ساعتئذ فاق عدد المجاهدين بالمركز أكثر من 600 فرد.. وبسرعة فائقة أحضر سكان الدوار عشاء الكتائب الثلاث.. ليلتئذ باتت نساء الدوار قائمات تحضرن طعام عشائنا وفطور غدنا: فطور الكتائب عادة مايكون في أعالي التلال أو الجبال.. بخلاف العشاء عادة مايكون في بيوت سكان القرى والجبال.. ليلتها بات رجال ونساء الدوار قياما في حركة ونشاط لإحضار ما يحتاجه المجاهدون من خبز قبل طلوع الشمس ، يتكون هذا الدوار من عدة منازل متواضعة وأكواخ تنم عن الفقر والحاجة، لكن كرم سكانه يبين عكس شكل ومنظر منازلهم وأكواخهم.. سكانه أكرم وأغنى بكثير من أغنى سكان القصور الضخمة في المدن وخاصة لما يتعلق الأمر بالمجاهدين وعابري السبيل، ولقد صدق من قال: الكرم بعد العرب بدعه، وخاصة عرب البادية لاسواهم..

عند بزوغ الفجر أمر قائد المنطقة الكتائب والأفواج بإعداد أنفسهم والتأهب لمغادرة الدوار، ولم تمض إلا بضع دقائق حتى كانت الفصائل على أتم الإستعداد والتأهب وبقيت تنتظر أمر الرحيل في الإتجاه الذي يحدده قائد المنطقة سي عز الدين..

- صورة تذكارية للرائد من الشهيد بن ... سي ... بونعامة – الولاية الرابعة، وسي طارق – الولاية الخامسة
تمثل روح التعاون والتنسيق الحربي بين ... الرابعة والخامسة. (أخذت هذه الصورة)
(من التقرير المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للولاية الرابعة / الجزء
[illegible])



وماهي إلا لحظات حتى امرنا بالسير نحو تل من تلال ناحية اولاد بوعشرة الواقعة بين قرية دراق ومدينة البرواقية.. بسرعة صار الجميع على شكل سلسلة طويلة صوب الموقع.. وصلنا إليه مع بزوغ الشمس، وزعت الكتائب على أماكن حصينة، ونصبت الحراسة فوق التلال المشرفة على كامل الناحية. وفي حدود الساعة الواحدة زوالا قام مسئولو الأفواج بتوزيع خبز الفطير على أفراد الكتائب والفصائل، وبعد مضي نصف ساعة تقريبا أعطى قائد المنطقة أمرا بتجمع الكتائب والفصائل بمكان واحد- وبسرعة فائقة اصطف الجميع في صفوف منظمة، بجانب كل كتيبة وفصيلة ضابطها في انتظار أوامر وتعليمات جديدة بشوق شديد من قائد المنطقة.. وماهي إلا لحظات حتى ظهر صحبة مساعديه، وتوا حيته الفصائل بالإستعداد ورفع السلاح، ويرد التحية هو الآخر بالوقوف ورفع يده إلى صدغه لعدة ثوان ثم يسدلها ويقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.. أيها الإخوة، سلام الله عليكم ورحمته وبعد : لقد أمرتني قيادة الولاية بأن أكوّن من صفوفكم كتيبة يكون أفرادها شبابا أصحاء ليقوموا بمهمة في تونس، ثورتنا في أمس الحاجة إلى أسلحة متطورة خاصة بولايتنا، والرحلة بعيدة جدا، ومحفوفة بالمخاطر والمشاق، لايتحملها إلا الشباب القوي الشجاع.. وعليه فإنني سأكلف أصغركم سنا وأقواكم جسما لها، وبعد إعطائه هذه التعليمات تفقد الفصائل فصيلة فصيلة، وأخرج من كل منها بعض شبابها القوي البنية الجسمية. كان كاتبه يسير معه بين الصفوف ويسجل أسماء من يشير إليه قائد المنطقة، وقع اختياره على سبعين شابا، وشاء القدر أن نكون نحن الرواة من ضمنهم.. كم كانت فرحتنا عظيمة في تلك اللحظات!!!. وقف بالقرب منا وقال: إن قيادة الولاية تعلق عليكم آمالها الكبيرة في تنفيذ المهام الضرورية التي تتطلبها معركتنا مع العدو، وخاصة أنتم الشباب، وكل الشباب الجزائري الذين يفيضون حيوية ونشاطا وحماسا، فأنتم منتهى آمال ورجاء شعبنا في دحر الظالم المستبد من أرضنا، وأنتم زاد ثورة نوفمبر الذي لاينضب، وسر قوتها التي لاتضعف ولاتلين، فأنتم وقود لهيب نارها التي تصلي عدونا نارا ذات لهب، فأنتم عنفوان قوتها وصلابتها، لذلك كله كلفتكم القيادة، فلا تخيبوا أملها ورجاءها فيكم، وكونوا خير مثال لمجاهدي ولايتنا في الشجاعة والإقدام والانضباط، وحسن المعاملة وحسن المعاملة مع إخوانكم مجاهدي ومواطني كل النواحي والولايات التي ستمرون عليها، فهم لن يبخلوا عليكم بكل ماتحتاجون من غداء وسلامة تنقلكم



ـ وحدة صحية تفحص ابناء الشعب

ـ صورة تاريخية لوحدة صحية لجيش التحرير الوطنـــــي

وهي تفحص أبناء الشعب الجزائري .

أخذت الصورة من مجلة أول نوفمبر .

العدد : 52/ 1981 بتصرف.

من منطقة إلى أخرى وتجنبوا الاشتباك مع العدو قدر المستطاع حتى لا يضيع بعضكم قبل تحقيق الهدف المحدد لكم هناك. ثم أشار بيده الى فصيلة مدججة بأسلحة متطورة معبأة بالذخيرة.. كان يقف بجانبها الأخ الصوني وقال: إن هؤلاء الرجال إنطلقوا من الونشريس الى الحدود المغربية،وعادوا كما ترون بكل هذه الأسلحة التي ترونها بأعينكم، ولاشك أنها ستقوي عضد الثورة بالمنطقة،ثم ختم خطابه قائلا: أنا كلي أمل في أنكم ستكونون خير خلف لخير سلف، وأن تكتمل رحلتكم إلى تونس بنجاح باهر إن شاء الله.. قال هذا ثم سكت برهة من الزمن ليقول شيئا آخر من دون شك.. حينئذ خيم صمت على الحاضرين في انتظار أوامر جديدة.. ثم رفع رأسه وطلب من الأخ سي قويدر والأخ ظريف الجيلالي بالخروج من الكتيبة، بسرعة خرج الاثنان من الصف ووقفا أمامه باهتمام كبير، ثم تحرك قليلا من مكانه وقال: إن الأخ سي قويدر المسؤول الأول على هذه الفصيلة وقيادتها إلى غاية أجتياز الحدود، وهذه قائمة بأسماء الفصيلة إحتفظ بها ثم نادى ثانية: الأخ البغدادي وآخر لانعرف إسمه،وكلفهما بقيادة فصيلة ثانية تتكون من(41) فردا،وسلمه قائمة بأسماء أفرادها.

تمت عملية تقسيمنا إلى فصيلتين،وتعيين مسؤوليها،كان ذلك في حدود الساعة الثالثة مساء،حيث آن وقت إنطلاق فصيلة سي قويدر نحو الغاية المحدودة لها،ويحين معه فراق إخوة الكفاح والفداء، ومغادرة جبالنا وقرانا إلى جبال وقرى لم نرها ولم نكن نعرف أسماءها من قبل ماعدا جبال الأوراس- انتابنا إحساس خاص ونحن نتعانق ونتصافح بحرارة أفراد الكتائب والفصائل التي ستبقى في المنطقة. كان كل منهم يبادلنا نفس الإحساس والشعور لحظة وداع الإخوة للقيام برحلة بعيدة تقدر مسافتها بمئات الكيلومترات، كان رجاؤهم ورجاؤنا النجاح والفلاح في مهامنا،كما كان كل منا يوصي كل من يعرفه بتبليغ سلامه وتحيته إلى أهله وذويه عندما يمر بقريته أودواره- في هذه الآونة الخالدة أمر قائد المنطقة فصيلتنا الأولى بالاستعداد للسير صوب سلسلة جبل الشريعة صحبة اتصال المنطقة الثانية، حيث كنت أنا (ظريف الجيلالي) مسؤولا على فوج من فصيلة سي قويدر- استعدت الفصيلة وقدمت للقائد التحية العسكرية، إثرها تقدم وصافح كلامنا، ثم وقف وقال: سيروا على بركة الله وحفظه، وستلتحق بكم الفصيلة الثانية عما قريب إن شاء الله. سار الإتصال وسرنا وراءه، كان الجو دافئا- سرنا وقلوبنا تحن أكثر من أي وقت مضى إلى أهلنا وسكان قرى جبل

اللوح وعمرونة وفلفول والونشريس- بينما كانت عقولنا منصبة على تنفيذ المأمورية التاريخية- في حين كانت أعيننا تترقب وتترصد كل حركة وكل شيء أمامنا تحسبا لما قد يطرأ من حين لآخر، آذاننا كانت في منتهى الإصغاء لتثير انتباهنا إلى أي حركة أو صوت يصدر في مجال دربنا لنواجه الموقف. لاندري ماذا سيحدث في ظلام الليل؟ كنا نسير بين الأشجار والصخور، مرة نصعد من أسفل جبل الى أعلاه، ثم ننحدر منه إلى أرض منبسطة، تارة نسرع ونجري سريعا، وآحيانا نسير على مهل وحذر عند الأماكن المشبوهة بالخطر، في بعض الأماكن ننبطح على الأرض ونقطع أنفاسنا، أمسينا وبتنا على هذه الحالة إلى غاية مطلع شمس اليوم الموالي بجبل يقع بين مدينة المدية وشفة، قمنا بعملية استطلاعية للجهة، ثم اخترنا مكانا حصينا لإقامتنا طول النهار- هكذا قرر قائد الفصيلة الأولى بالقول: إننا يالخاوة لن نبرح مكاننا قبل نهاية النهار، لأن المنطقة التي تفصل بيننا وبين جبل الشريعة مكشوفة ومراقبة مراقبة شديدة من قبل مراكز العدو والمتواجدة على امتداد الطريق الرابط بين مدينة المدية وشفة، وعليه ناموا بالتناوب حتى المساء، وحينما امتثلنا لأمره ونمنا* بالتداول، حيث ظلت عيون حراستنا ترقب الإتجاه الذي سنمر معه إلى الشريعة، من يدري؟ لعل العدو ينصب كمينا في ممر اتجاهنا. وجاء الليل- أسدل الظلام رداءه على المنطقة، ووقتئذ تحركنا في حذر شديد تحت جنح الظلام. تمكنا من عبور المنطقة الخطيرة بسلام، دخلنا السلسلة الجبلية الممتدة الى ناحية الأخضرية. سرنا الليل كله، وواصلنا مسيرتنا طوال النهار الموالي.

في النهار كنا نسير عبر أعالي الجبال، ونسير ليلا بالهضاب الجرداء، والسهول بعد أن تتجمع لدينا كل المعلومات حول مراكز العدو ونشاطه بالناحية. كنا نسير أقرب الى الجري منه إلى السير العادي،، من حين لآخر كنا ننبطح واحدا بعد الآخر ونلتصق بالأرض، ونقطع أنفاسنا عندما نحس بخطورة المكان أوتقع أسماعنا على حركة غير عادية. وكم مرة استوقفتنا حركة أو صوت أحدى حيونات الغابة، كنا نواصل سيرنا بالمنطقة المكشوفة بدون استراحة إلى أن نصل سفح جبل حيث نشعر بالأمن وعدم الخوف، لأن الجبل يصعب على العدو دخوله ليلا، ووقتذاك نستلقي على الأرض لنرتاح بعض الوقت، وبعد الإستراحة نواصل السير الى أعلى الجبل حيث حراسة الجيش في انتظارنا لتقدم لنا ما نحن في

أمس الحاجة إليه، كنا نتوقف على السير ليلا قبل طلوع الشمس حيث نسمح لأنفسنا بالنوم بعد أن تضرب الحراسة في الأماكن المطلة على كامل الناحية.

كنا نحتمي بجدوع الأشجار والصخور التي تقينا شر الرياح المشبعة بالصقيع، معظم الأيام كان الجو باردا ، إذ كان ذلك في شهر نوفمبر 1957. ومع هذا فإننا ننام ملء جفوننا ، والضباب والغيوم الممطرة غطاؤنا ، والأرض فراشنا ، كنا ننام في هذه الظروف والأحوال إلى غاية الساعة العاشرة صباحا. حيث نفتح أعيننا فوق جبل لانعرفه من قبل، ومن فرقه كانت تترا ىء لنا جبال صور الغزلان، وجبال القبائل الكبرى التي كنا نراها من بعيد عبارة عن كتلة غاضبة في مواجهة السماء الدكناء. وفي الليل كنا نرى تحت السلاسل الجبلية أضواء قرى السهول ومراكز العدو وتخفق من خلال ظلام ليالي نوفمبر الحالكة.

كنا نتوقف في كثير من الأيام بمراكز جيش التحرير يومين فأكثر، في انتظار وصول الاخبار والمعلومات حول الجهة التي سنقطعها في اليوم الموالي، أو الليلة الموالية. كنا نقضي أيام توقفنا بالجبال مستلقيين على الأرض الطاهرة ذات الرائحة المنعشة ونتبادل الآراء والأماني، كان كل منايحلم بوصوله الى تونس، ليتدرب على كل أنواع الأسلحة، ويحمل معه كل الأسلحة الفتاكة: دبابات- مدافع- قنابل، ليصب جام انتقامه على العدو الذى قصف ودمر منطقتنا بكل أنواع القصف والتدمير، كان هذا حلمنا جميعا.

كنا نتناول الفطور في الجبل حيثما سمحت لنا به الأحوال والظروف، كان طعامنا جل أيام الرحلة خبز الفطير مع التمر، لكوننا مختفيين عن الأنظار ومنعزلين عن سكان الجبال والسهول. هذا من جهة. ولكون خبز الفطير والتمر لايفسدان لأيام عديدة، وللضرورة أحيانا كنا نتناول طعامنا هذا ونحن نسير. الى أن وصلنا إلى المنطقة الأولى: جبال الأخضرية الحصينة. مكثنا بها عدة أيام، أين قدمت لنا المعلومات والأخبار حول نشاط العدو وتمركزاته بالجهة التي سنمر مهعا، وبتبصيرنا بالطرق والممرات المحفوفة بالخطر، واصلنا السير أياما عديدة إلى أن بلغنا قرية لا نعرفها. قضينا بها عدة أيام. وغالب الظن أنها لأسباب أمنية ملزمة.

وفي يوم من الأيام قدم إلينا قائد المنطقة الأولى صحبة فصيلة تتكون من 30 شابا من سكان هذه المنطقة وضمها معنا لتصير فصيلتنا 70 فردا، ثم أمر اتصال الناحية بإيصالنا إلى ناحية عين بسام، ودعناه وودعنا.

[illegible]

و"فبقعودن". فصور الغزلان،فبئر أغبالو،فسد المسيلة مرورا بقلعة بني حماد، فجبل أحمر حذو، فجبل الازرق، يليه جبل كيمل بالأوراس فالجرف فجبل بو جلال.

الى هذا الحد أترك هذه الفصيلة بين أيدي الإخباريين والإتصاليين يسهرون على تنقلها من ناحية الى ناحية عبر جبالنا وهضابنا ومنحدراتنا وأدغالنا، فهم أعلم المجاهدين بخطورة الاماكن والمسالك التي ستسلكها هذه الفصيلة لأعود إليها بعد أن تعيش معي بكل أحاسيسك ومشاعرك الظروف والحيثيات التي أخرت الفصيلة الثانية عن الأولى، وإذا أردت معرفة ذلك فعش معي مسيرتنا فيما يلي:

مسيرة الفصيلة الثانية

أما الفصيلة الثانية التي تركناها خلفنا بناحية القسمة بأولاد بوعشرة، فقد انضمت بأمر من قائد المنطقة عز الدين مع فصيلة الصوفي العائد من المغرب ليصطحبها معه الى المنطقة الأولى بناحية الأخضرية.

ونظرا لقيام العدو بعملية تمشيطية لقرى ودواوير ناحية المدية والبرواقية مدعما بأسراب من الطائرات الإستكشافية، الأمر الذى أدى أو ألزم الكتائب على المكوث بالأماكن المنيعة، أجلت انطلاقة الفصيلة الثانية التي كان يقودها الأخ البغدادى الحشايشي.

كانت مواقع كتيبة محمد البليدي وعز الدين وفرقة الصوفي متقاربة، أعطيت الأوامر بعدم إطلاق النار على الطائرات الاستكشافية لكي لايكشف العدو مواقعنا ويحدث مالا يحمد عقباه للكتائب وسكان القرى المجاورة، فعدد الطائرات كثير،وقوات العدو تعد بعشرات المئات، يفوقنا عددا وعتادا، مدعمة بالدبابات والمدافع أرضا،ومحمية بالطائرات من السماء، أما نحن فكان يدعمنا أرضا ونحن رابضين بالمواقع إيماننا العميق الذى ورثناه عن آبائنا وأجدادنا، وكان يحمينا من السماء قدرة ربنا الذى بعنا له أنفسنا طوعا بثمن وعد به عباده المجاهدين الصابرين"يوم لاينفع مال ولابنون!!"وإن وعد الله حق وهو أحكم

الحاكمين!!كان سر قوتنا على قوة العدو وعتاده، كان هذا زاد أرواحنا وشجاعتنا على كل خطر يحدق بنا.وبه كنا نهزم العدو وننجو من كيده، دام حصار العدو للمنطقة الفاصلة بين قرية «دراق» ومدينة البرواقية يومين كاملين.وفي مساء اليوم الثالث يئس العدو من العثور علينا في هذه الناحية، وفي حدود الساعة الواحدة زوالا نقل قواته إلى هضاب وجبال المدية شمالا، وترك فرقة تتكون من حوالي 120 جنديا تراقب تلال وسفوح جبل أولا د هلال، كنا نرى عن قرب كل حركة يقوم بها العدو وهو في حالة ترصد واقتناص لمن ينزل من الجبل إلى السهول المكشوفة فينقض عليه انقضاض الحيوان المفترس، لكن هيهات ثم هيهات لقد اكتشفنا مكانه،وعرفنا نواياه الخبيثة الدنيئة، وأمرت القيادة كل الكتائب والأفواج والمواطنين الفارين بعدم التحرك من المواقع حتى نضيع عليه فرصة مباغتتنا خدعة- ربض العدو بمكان اعتقد أنه استراتيجي إلى غاية الساعة الرابعة والنصف مساء،حيث غيم سماء المنطقة وبدأ المطر ينزل، وظلام الليل يقترب، وخوف العدو يزداد، فالعدو يخاف الجبل ليلا،ووقتئذ قام ضابط الفرقة من مكانه وصفر،بجمع أفراد كتيبته. قاموا بسرعة من مواقعهم وتجمعوا حوله، ثم ساروا متتابعين نحو الشاحنات الأربع،وسيارة جيب،ومدرعة كانت مخفية وراءتل، ركبوا ودوت محركات الشاحنات وانطلقت ببطء باتجاه قرية سي المحجوب مارة مع مسلك صعب كثير المنعرجات والإلتواآت.

في هذه الآونة أمر سي عز الدين سي محمد البليدي قائد كتيبة بنصب كمين للقافلة التي ستمر قريبا مع ممر قريب من موقع كتيبته، وبسرعة مذهلة نصب كمينا محكما قبل وصول القافلة بمكان يصعب على العدو وشاحناته الإفلات من قبضة كتيبة محمد البليدي، وماهي إلا دقائق حتى وصلت القافلة،وأخذت أفواه الرشاشات تلفظ نارها الحامية على الأعداء. وإذا الموت الزؤام يحصدهم حصدا، وأخذت صيحات الموت والذعر تتعالى. والجبال تردد صداها. هذه خوذ تتطاير على حافة الممر القاتل. قنابل يدوية ترمى واحدة بعد الأخرى،تتلوها انفجارات متتالية، وإذا بالنيران تلتهم الشاحنات وتتفجر ذخائرها،وإذا بجنود القافلة يصيرون جثثا مشوهة هامدة، وإذا بدخان الشاحنات الأسود يتصاعد إلى كبد السماء،وإذا الشاحنات تصير رمادا. تم هذا كله في وقت لايتجاوز 15 دقيقة من قبل كتيبة واحدة،أما الكتائب الأخرى فكانت تتفرج من مواقعها على مجريات المشهد الرائع في القضاء على غطرسة عدونا وكبريائه وتضائله أمام أبناء الشعب

الذي كان العدو يحتقرهم ويصفهم بالتخلف، وقلة الخبرة بالحياة المدينة والعسكرية. بسرعة جمعت الكتيبة غنائمها من أسلحة وأجهزة ولباس كانت بحاجة ماسة إليها، ورجعت إلى موقعها سالمة مع غروب الشمس. كان موقع فصليتنا الشابة قريبا منها. حينئذاك أسدل الظلام رداءه على المنطقة.

أمر قائد المنطقة بتحرك الكتائب في جنح الظلام نحو الشمال الغربي من جبال أولاد بوعشرة، حيث الجبال المكسوة بالغابات الكثيفة الواسعة الأطراف والمملوءة بالصخور لتقينا شر قنابل الطائرات وقذائف مدافع الميدان إذا كشفنا العدو في اليوم الموالي، فالمعلومات التي وصلتنا من مدينة البرواقية، وقصر البخاري ودراق، وسي المحجوب، ووادي الشرفة تجمع كلها على أن هناك قوات ضخمة تتجه إلى محاصرة وتطويق كامل ناحية الكسكاس وأولاد أهلال، وتجنبا لما قد يحدث غدا، سرنا ليلا بمحاذاة الضفة الجنوبية لوادي شلف إلى حين بزوغ الفجر أين أمرنا بالتمركز في مكان حصين يبعد عن سد وادي الشرفاء بنحو 05 كليومترات تقريبا حيث أخذت كل الكتائب أماكنها ووضعت الرشاشات في أماكن مناسبة لمهامها، وما إن ظهرت الشمس في كبد السماء، حتى صارت جبال المنطقة تردد صدى محركات المآت من الشاحنات والآليات وهي تتقدم، وفي نفس الوقت غطى أزيز الطائرات سماءها، راحت الطائرات المختلفة الحجم والمهام، تهبط ثم ترتفع لمدة 20 دقيقة، ولم تتمكن من التعرف على مكان تواجدنا، ثم شرعت في إسال القنابل على قمم التلال والجبال والأدغال بدون هدف معين.

أفرغت طائرات وطارئرات قنابلها على المنطقة، في حين ظلت المدافع تقصف باستمرار مناطق أخرى إلى غاية الواحدة زوالا حيث بدأ أزيز الطائرات يتلاشى ثم يضمحل نهائيا وأخذت قذائف المدفع كذلك إلى السكوت النهائي هي الأخرى.

فماذا سيحدث بالمنطقة بعد ماحدث؟ هذا سؤال داخلي سأله كل واحد منا، وخاصة نحن فصيلة الشباب العزل من السلاح والمحمية من فصيلة القائد الصوفي؟!!!

بالذكاء تحسم المواقف

وفي لمح البصر أخبرت حراسة الجهة الشرقية من مواقعنا بأن قوات برية كبيرة تتقدم باتجاهنا، في الحين أعطيت الأوامر بعدم إطلاق النار إلا بعد أن يقترب

الأعداء من فوهات رشاشاتنا حتى نتمكن من أن نبعث في أجسامهم الموت الزؤام في لحظة واحدة.. ونخرج من الحصار ونحن ندوس بأقدامنا على جثثهم، بهذه المباغتة ترتبك صفوف العدو المحيطة بالمنطقة، وتختل حركاته واندفاعاته، ويضع صوابه، ويجمد في مكانه ويستحيل على الطائرات قصف المنطقة خوفا على حياة جنودها.

التزمت الكتائب بتنفيذ الخطة. وأختفى كل فرد من أفرادها وراء صخرة أو جذع شجرة واستعد نفسيا، متخلصا من رهبة العدو ولهيب نيرانه، ومسك بشدة رشاشته، وعيناه تترقب قدوم المجرمين أمام علامة التسديد، وعيناه تتابع سير الموجة البشرية بتلهف وشغف، بدأت تقترب وتقترب مئات العساكر وصارت تظهر وتتضح أكثر، وثبتت فوهات الرشاشات بدقة في صدر أو في معدة العدو الزاحف. وذبابة التصويب مرتسمة في أحشائه، وهو يلهث كالكلب المسعور، ويتقدم أكثر، واذا بنات السبابات تضغط، وسلسلة الطلقات الثارية تدوي كثيفة تتلوها كلمات الله أكبر بصوت مرتفع مشحون بالإيمان الذي يثير الذعر في نفوس من بقي حيا من الخط البشرى البغيض، وإذا به يهوى ساقطا للأبد في غمضة عين، وتشرع أقدام الذين باعوا أنفسهم لربهم تدوس الجدار البشرى المدمر، وتخرج من الحصار في أمن وسلام صوب الجهة التي جاء منها الجدار المنهار، فمباغتته الأبطال ضيعت رشد العدو وكل حساباته، ولم يعرف أيتقدم ؟ أو يتأخر؟ اختلط عليه الأمر ولم يعرف أي الجيشين انهزم.. في المواجهة المباشرة- صعب عليه ذلك وأصبح من الصعب عليه معرفة هويتنا ومكان تواجدنا، فنحن أقرب من قواته بالجهة الشمالية الشرقية، وفي حدود الساعة الثانية والنصف مساء زحفت نحونا القوات القريبة منا، ويتأهب الإخوة من جديد لخوض معركة ثانية في يوم واحد.

ويطلب من الإخوة تطبيق نفس التكتيك الأول الذي أثبت نجاحه، كانت معنويات الإخوة عالية -لاخوف- لارهبة- لاذعر- واثقون بكسب المعركة الثانية، كلهم شجاعة وإقدام.

بدأت قوات العدو تظهر لنا وهي تتقدم في ذعر شيئ فشيئا، وبدأت أصوات أفراده تصل الى مسامعنا- إنهم عدد كبير من الجنود- لكنهم خائفون، لأنهم يمشون جنبا لجنب وكأنهم متلاصقون فيما بينهم- انحصر تفكير المجاهدين على



لحظة يقظة واحتراس

من أرشيف الثورة



لحظة يقظة وتأهب لمباغتة العدو

عنصر المباغتة والسرعة في الإنسحاب إلى جهة أكثر مناعة وأمنا، وماهي إلا دقائق حتى ملأ أعيننا الحشد البشري الهائل وهو يقترب منا أكثر.وتنبعث نار ذات لهب من مئات الرشاشات والبنادق دفعة واحدة مسددة ومضبوطة،هشمت وأصلت أجسامهم، أجسام معظم الحشود المتراصة القريبة جدا منا، وفي ذات الحين ارتفعت صيحات آلام الموت والذعر والهلع،وهوت على الأرض أجسام كثيرة هامدة لاتحرك ساكنا، بينما صرخت البقية ورمت السلاح ولاذت بالفرار، لاتدري ماذا تفعل؟ ثم وقفت مذهولة وأيديها مرفوعة عالية. وحينها مُنع الأسرى الهدوء النهائي بالرشاشات وبالخناجر، وتتوقف حركة الجمعين،ويخيم السكون الرهيب على ساحة ملتقى الجيشين ماعدا بعض تنهدات وزفرات الموت والإحتضار تسمع من حين لآخر، ومع كل هذا فقد لزم الإخوان أماكنهم لعدة دقائق في صمت عميق تحسبا لما قد يستجد بمكان المعركة الضارية، وبعد أن تيقنوا من لاوجود للعدو بمحيطهم،وقفوا من أماكنهم وراحوا يتفقدون بعضهم بعضا. ثم تجمعوا في مكان واحد في انتظار إشارة قائد الكتيبة بالإنسحاب من ساحة المعركة، في هذه اللحظات ظهرت طائرات فوقنا، وتوا أُمرنا بالإنسحاب من المكان، سرنا نحو أسفل الجبل القريب منا حيث الغابة الكثيفة، وفي لمح البصر غادرنا مكاننا، لكن الطائرات كشفت تحركنا. وإذا بعشرات القنابل التي تحمل في طياتها النار المحرقة،والموت الزؤام تنزل متتالية أمامنا تارة وخلفنا تارة أخرى، أسفرت عن استشهاد 17 مجاهدا في صفوفنا في القنبلة الأولى. ويأمرنا بالزحف على البطون الى الصخور والمخابئ الواقية من قنابل الطائرات والرشاشات.ثم صاح في حاملي مدافع الرشاشات من نوع (29/24) بالتصدي لها. وبسرعة شرعت فرقة مدفعيتنا تترقب عودة الطائرات إلينا تملأ مجال اتجاهها نحونا شهبا محرقة، وتتمكن من إسقاط طائرتين في لحظة واحدة.وتضطر بقية الطائرات إلى الإبتعاد عن مواقعنا وتكتفي بالتحليق بعيدا عنا. حدث هذا في حدود الساعة الخامسة مساء تقريبا.لقد أدخل مشهد الطائرتين وهما تهويان على الأرض مشتعلتين الذعر والهلع في نفوس القوات البرية،الأمر الذي جعلها تنسحب من مواقعها وتتجمع في جهة واحدة،حينذاك إدلهم ظلام الليل كل شيء،الأمر الذى أعطى لنا فرصة سانحة لتتجمع الكتائب وتتفقد أفرادها،ثم تضع خطة للخروج من المنطقة. سقط من صفوفنا سبعة عشر شهيدا، وخمسة جرحى متفاوتي الخطورة، وبسرعة

موزاية ومعظم أفراد الكتائب يحمل أسحليتن: أسلحة مغنومة إلى جانب أسلحته، وصلنا في حدود منتصف الليل إلى الموقع المحدد، وهنا أمرنا سي عز الدين بمواصلة الطريق بالاتجاه الى سلسلة الشريعة صحبه فصيلة الصوفي المتجهة إلى المنطقة الأولى بناحية الأخضرية. سرنا مابقي من الليل، وجزءا كبيرا من النهار الموالي ومجريات معارك الأمس عن كثب، وخاصة صرخات واندفاعات أبطالنا الممزوجة بسلسلة طلقات رشاشاتهم حين يقترب منهم العدو، انفجارات مروعة اهتزت لها كامل المنطقة ومن فيها من المخلوقات، وفلول العدو تلوذ بالفرار مذعورة من نيران حملة شعلة الجهاد المقدس التي تصيب العدو ولا تخطئه.

كانت كل هذه المشاهد الرائعة وغيرها تضيء دربنا في الظلام الدامس، ونحن ننتقل من منحدر إلى آخر، ومن جبل إلى جبل، كانت توجه أبصارنا نحو الدرب الأشم، وتشحذ هممنا على السير الى الأمام وتحدي المتاعب والخطوب وترسم في أذهاننا صورة الغد المشرق بكل بطولاته ومفاخره.

إستأصلت من نفوسنا الخوف، الذعر، الرهبة. من كل جبار عنيد إلا من إلهنا الواحد الأحد، سرنا أياما وليالي عديدة ونشوة النصر وروائع الوقائع البطولية النادرة عالقة بأذهاننا، كانت تقوي إرادتنا كلما ضعفت أو وهنت، كما كانت تعيد إلى أنفسنا الأمن والإطمئنان. كلما اهتزت وآضطربت، وتغذي أجسامنا كلما إنهارت وتهالكت.

في جبال الأخضرية

وصلنا بهذه الحالة النفسية المرضية إلى ناحية الأخضرية، حيث وجدنا قيادة الولاية الرابعة وعلى رأسها سي محمد بوقرة الذي استقبلنا كعادته كما يستقبل كل المجاهدين استقبال الأب الرؤوف الحنون لأبنائه البررة، وخاصة نحن الفصيلة الشابة المتكونة من 80 شابا، لايتجاوز سن أكبر واحد منا 20 سنة، احتضن كل واحد منا احتضان الأم الحنونة على صبيتها ورحنا نحكي له ولمساعديه تفاصيل ما عشناه بناحية أولاد بوعشرة، بدءا من الكمين الذي قام به سي محمد البلهدي

مرورا بالهجوم الأول والثاني على العدو، وختاما إسقاط طائرتين للعدو، وهو يستمع إلينا باهتمام بالغ. وفي نفس الوقت كان يربت على أكتاف ممن حوله، ومن حين لآخر كان يقول: حمدا لك يارب. وبعد أن انهينا وصفنا لسيناريو المعارك الثلاث، نهض وقال: حمدك يارب، نصرك يارب! ثم شرع يسألنا مستفسرا: كيف هي أحوالكم الآن يا أحفاد الأمير؟ يا أبناء شعبنا الأبي؟ يا إخوتي الشباب؟

- نحن في أحسن صحة وعافية والحمد لله، لاينقصنا إلا السلاح لـ بوقاره عن قريب إن شاء الله تحملون أحدث سلاح. واستطرد سائلا:

- طيب، من كان يقود الكتائب التي خاضت هذه المعرك؟

- قائد المنطقة سي عز الدين صحبة محمد البليدي وآخرون لانعرف أسماءهم ؟

- كم تقدرون عدد قتلى العدو؟

- أكثر من مائتي جندي.

- كم سقط من صفوفنا شهيدا في تلك المعارك؟

- في المعركة الأولى والثانية لم يصب أحد من صفوفنا بجروح. هذا نصر الله وحفظه يا إخوتي. أما المعركة الثالثة فسقط 17 شهيدا رحمهم الله.

- بوقاره:

- الله أكبر "إنا لله وإنا إليه راجعون "هذا قضاء الله وقدره يا إخوتي"

- ثم تلا الآية الكريمة "من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظرو ما بدلوا تبديلا . صدق الله العظيم.

أيها الإخوة، لقد أعطيناكم عهدا على مقاومة العدو حتى إجباره على الرحيل من وطننا أو نلتحق بركب الشهداء. إننا على العهد وافون، وعلى درب الجهاد المقدس سائرون.

- أما أنتم يا أبطالنا الشباب المهاجرين إلى الخارج في سبيل الله والشعب الجزائري؟ استعدوا للرحيل مساء هذا اليوم، وسينظم معكم 40 شابا من سكان هذه النواحي، فتعاونوا على البر والتقوى، وكونوا كأعضاء الجسد الواحد، ولا يبخل بعضكم عن بعض، فأنتم إخوة وإبناء شعب واحد، ووطن واحد، هو الوطن الجزائري.

مهاجرون لهدف واحد، فلتكن هجرتكم هذه كالهجرة التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله، فهجرته الى ماهجر،، ويوضحها قوله تعالى: ومن يهاجر في سبيل الله... الآية)

أيها الإخوة البررة،أمل شعبنا كبير في أن تكونوا خير سلف لخير سلف، وأن تحققوا آمال ثورتنا المباركة في انتزاع النصر الأكيد، وأعلموا أن عدة فصائل أخرى قد رحلت متتابعة قبلكم، وستحلقون بها داخل الواطن سالمين إن شاء الله، ولاتنسوا تبليغ سلام قيادة ومجاهدي هذه الولاية الى قيادة الثورة وكل المواطنين الذين ستلتقون بهم، وحدثوهم عن كل الهزائم التي تلقاها العدو على أيدي مجاهدي هذه الجهة من الوطن، قال هذا ثم تطلع الى ساعة يده،ثم ختم خطابه بالقول: "نعيش سعداء أو نموت شهداء"، ليكن هذا شعاكم دائما وأبدا أيها الأخوة. وهنا سكت مليا ثم وقف مستعدا وقال: باسم الثورة،استعدوا ؟ استعددنا حينا وأعيننا مشرئبة إليه، وأردف آمرا: نشيد جزائرنا: أنشدناه جماعيا بصوت مرتفع يفيض حماسا. جزائرنا يابلاد الجدود: نهضنا نحطم عنك القيود. إلى آخر الانشودة،ثم سكتنا سكوتا عميقا برهة من الزمن،؟ إثر هذا نادى الأخ البغدادي والأخ عمر وقال: أنتما المسؤولان على قيادة الكتيبة الى حدودنا، وكونا ذكيين كما أعرفكما في قيادة الشباب والحفاظ على سلامتهم؟

البغدادي: كن مطمئنا،سنبدل كل مافي وسعنا للوصول بهم سالمين إن شاء الله. وعلى إثر هذا أخرج بوقارة ورقة من محفظته وناولها للبغدادي وقال له: خذ هذه قائمة بأسماء أفراد الفصيلة،إقرأها الآن على مسامع الحاضرين، واحتفظ بها إلى غاية تسليمها لقيادة الثورة بالحدود التونسية.

البغدادي: ليكن ماتريدون. وشرع مباشرة في المناداة، وعند ذكر كل إسم تتبعه كلمة نعم ويد صاحبها مرفوعة عاليا، إلى نهاية القائمة المشتملة على 120 فردا، ثم طواها ووضعها في جيبه الأعلى، ثم التفت الى قائد الولاية وكأنه يودعه الوداع الأخير. انتهت كل الإجراءات لانطلاقة المسيرة مع غروب الشمس.

كانت الساعة تشير حينئذ الى الخامسة والنصف مساء، وإذا بسي امحمد بوقارة يخطو بعض الخطوات ويقف قرب ممر ضيق بين الأشجار، ثم يرفع يده مشيرا إلى ناحية عين بسام ويقول: الآن سيروا موفقين إن شاء الله؟، ويقفز اتصال الناحية الى مقدمتنا وينطلق مع الممر، وننطلق وراءه متتابعين،وإذا سي امحمد بوقارة يُقبِّلُ ويصافح كل من يمر أمامه ويقول له: مع السلامة؟ - مع السلامة؟. وإجابه كل منا إن شاء الله- إن شاء الله.

هذه نوازعنا

سرنا ووقع خطاب قائد الولاية يملأ قلوبنا ويرن في آذاننا، وكلمة طريق السلامة تتردد في أذهاننا، كان كل منا يردد رجاء/داخل نفسه، متوجها به إلى الله بأن يوصله بسلامة إلى مبتغاه وراء الحدود، ليتدرب على سلاح أقوى بكثير من سلاح عدونا، ويعود به إلى الوطن وهو مدجج بالسلاح.

إن قنابل طائرات وقذائف مدفعية العدو التي نزلت علينا في جبل اللوح، ومافعلته بإخواننا من تشويه وتمزيق، جعلت كُلاًّمنا يحلم بالإنتقام، بل صار الإنتقام منه أكسجين حياتنا، نتنفسه ونزفره في حالتي اليقظة والنوم. لم ولن يفارقنا هذا الأمل، إلا إذا انتقمنا لأنفسنا ولشهدائنا الذين شوهت أجسامهم على قمم وسفوح جبال وطننا التي تركناها وراء ظهورنا غرباً، والتي سنمر معها شرقاً، أو يؤول مصيرنا مثل مصيرهم، كانت أمنيتنا الغالية أن نتدرب على كل الأسلحة، وعلى قيادة الطائرات العسكرية المدمرة لاسواها، ومن وراء الحدود، من مركز التدريب نقلع بها ونرتفع بها إلى كبد السماء، فوق الغيوم والسحب وندخل وطننا الجريح حيث نهبط على عدونا من الفضاء كالصواعق أو كالشهب على حين غفلة وهو في ثكناته ومراكزه ومطاراته، فنلقي عليه حمولة طائراتنا، فُندمر قلاع من سلب منا الأرض والحياة، ونجعل جحافله جثثا ممزقة وأشلاء متطايرة، ومن طائراته التي قنبلت قرانا وشوهت أجسام إخواننا حطاما نخرة.

كانت هذه النوازع تجيش في خلدنا ونحن نسير وسط ظلام دامس بين الصخور والأشجار، وأملنا يزداد لحظة بعد لحظة، لأن أمامنا أشياء تنظرنا داخل الحدود التونسية، كنا نسير متباعدين عن بعضنا البعض بحذر شديد. فالليل مظلم، وقد يواجهنا العدو في كل شبر رغم أن مرشدنا يعرف الناحية من أنها خالية من وجود العدو.

ولكن من يدوي مايحدث في جنح ظلام ليالي شهر نوفمبر الحالكة؟ يجب الحذر ثم الحذر، على هذا الأساس كانت توقعاتنا أثناء تنقلنا بالليل دائما سيئة،

المهم كنا نسير بدون توقف إلى أن يصل بنا اتصال الناحية إلى مركز اتصال الناحية الموالية التي سنتجتازها، حينذاك نتوقف قليلا. ثم ينطلق بنا اتصال جديد الى غاية مطلع الشمس، حيث نستريح لمدة نسترد فيها قوانا، وحين تتجمع لدينا كل المعلومات والأخبار عن نشاط وتحرك العدو بالجهة الموالية. ننطلق من جديد عبر المسار الذي سارت عليه الفصيلة الأولى التي تقدمتنا بأيام نحو نفس الهدف والمسعى، كانت أصعب مراحل تنقلنا عبر السلاسل الجبلية الممتدة من جبل عمرونة إلى جبال بوجلال على مسافة 800 كلم،هي تلك المراحل التي يتحتم علينا عبورها بين مراكز العدو المشرفة على هذه الناحية أو تلك دون أن تكشف تحركنا حراسة هذه المراكز،في حين كنا نرى تحركها بالعين المجردة، هذا وعد الله لعباده الصالحين يتحقق دائما، فتعمى أبصار أعدائه عن رؤية جنده المؤمنين المخلصين له ولاًّ متهم ووطنهم، إنها الرعاية الربانية تصطحبنا وترعانا في كل خطوة نخطوها نحو مسعانا الأسمى. سرنا وسارت معنا هذه الرعاية ليالي وأياما ونحن نرحل من ناحية الى أخرى،ومن ولاية إلى أخرى.

كلمة سر هويتنا

كانت كلمة سر هويتنا لدى مجاهدي الولاية المستقبلة دائما هي:«دورية من الولاية الرابعة». أوقفتنا مرات عديدة حراسة مراكز جيش التحرير ودورياته بمناطق هذه الولايات عندما نقترب منها،أو نلتقي معها وجها لوجه،وتطلب منا كلمة السر وفوهات رشاشاتها مصوبة نحو صدورنا، فنلزم مكاننا ويصيح «اتصالنا»: دورية من الولاية الرابعة.

– تقدم ويدياك مرفوعتان عاليا.

– يتقدم «اتصالنا» بخطى ثابتة،ويداه مرفوعتان إلى مكان الآمر الذي لا يظهر للعيان،حينئذ يسأل كل منا نفسه في صمت: من سيكون هذا الآمر؟! لا أدري؟ الله أعلم به؟!

فالآمرون بتوقيفنا مختبئون ومحصنون،إما وراء الصخور،أو وراء جذوع الأشجار، حدث لنا هذا في الليل، وفي النهار مرات عديدة، وفي كل مرة يتقدم

اتصالنا وحده، لأن وصوله اليهم أمر محتم عليه. أما نحن فنختفي عن أنظارهم بالانبطاح بسرعة البرق على الأرض، ونلتصق بها ونحتمي بالصخور وجذوع الأشجار، هذا عمل ضروري وتلقائي أصبحنا نقوم به عند كل موقف من هذه المواقف الحرجة، ونبقى ننتظر وصول دليلنا الى الأمر المجهول، ثم العودة إلينا سالما و الفرحة بادية على نبرات صوته معنا.

وإذا لم يكن ذلك، فالموقف يقتضي منا شيئا آخر، هو الدفاع عن أنفسنا، أو الرجوع من حيث جئنا، حينئذ تنبسط نفوسنا بعد انقباضها بعض الدقائق، ونقوم من مخابئنا ونسلم أنفسنا للاتصال ونتبعه حيث يسلمنا هو الآخر لإخواننا في الجهاد والمصير المشترك، لحظتها نحس بالعواطف والمشاعر النبيلة، والأمن والآمان من خلال معانقتهم القوية وقبلاتهم الحارة لنا.

وكأننا إخوة من أب واحد، وأم واحدة لم نر بعضنا بعضا من مدة طويلة، أو كأننا نعرف بعضنا بعضا منذ زمن بعيد، ولاغرابة في ذلك، فكل أبناء الوطن الجزائري إخوة في الأصل والفصل والمذهب والمشرب. هدفهم واحد، مسعاهم واحد، هو تحرير الوطن والمواطن من براثن المعتدين الطغاة. ففي كل تل، أو مركز من مراكز المجاهدين حللنا به. كنا نخبر بعبور فصيلة من الولاية الرابعة، وتقدم لنا يد المساعدة قدر الاستطاعة الممكنة لدى كل مركز، الأمر الذي كان يحفزنا أكثر على مواصلة المسيرة الطويلة بلا ملل ولا كلل.

كنا نفرح كثيرا عندما يقال لنا بالأمس القريب مرت من هنا دورية شابة من الولاية الرابعة، وكم كان شوقنا يزداد للالتحاق بهم، والسير معهم ؟! كان هذا الشوق يدفعنا بأن نسير هرولة بدل السير البطيء. سرنا هكذا إلى أن وصلنا زوالا الى إحدى التلال المطلة على مشارف منطقة أولاد «تبان»[1] التابعة للولاية1 بشق الأنفس، ولم نستطع مواصلة الطريق، فقررنا قضاء مساء هذا اليوم من أجل الراحة و النوم الى مجيء الليل، ثم نشرع في السير من جديد تحت الظلام.

راح كل منا يبحث عن مكان مريح ينام فيه بعض الشيء وفي هذه الأونة بالذات بدأنا نسمع أزيز الطائرات آت من بعيد. توقف الجميع عن الحركة، اشرأبت

(1) تقع قرية أولاد تبان في ضواحي جبل أبو طالب الأشم، القسم الرابع، المنطقة الأولى من الولاية الأولى، هجر أهلها تهجيرا بسبب إندماجهم الكلي في لهيب الثورة.

رؤوسنا الى السماء، وإذا بطائرة استكشافية»[1] تظهر منخفضة فوق سماء تواجدنا. انبطحنا لمجرد رؤيتنا لها. وزحفنا علي بطوننا تحت الأشجار لنختفي عنها. حلقت عدة مرات فوق رؤوسنا ولم تطلق علينا أي شيء،ثم ابتعدت، اعتقدنا أنها لم تتمكن من إكتشافنا.وقمنا من مخابئنا في الوهلة الاولى.وبدأنا نتجمع من جديد.في هذه اللحظات وإذا بطائرتين من نوع (جاقوار) تحلقان فوقنا، وإذا بقائدنا يصرخ فينا بأن نغطي ملابسنا بأغصان الغابة بسرعة والانسحاب من المكان زحفا نحو منحدر الجبل، وبسرعة فائقة صار كل منا شبيها بالشجرة الصغيرة.وبدأنا ننحدر وظهورنا منحنية نستتر بين الأشجار والصخور، وفي الأماكن العارية. نزحف علي بطوننا.و الطائرتان تلقبان بحممها علي قمة التل التي اخترناها لراحتنا ونومنا. دامت قنبلة الطائرتين للتل وما حوله مدة 15 دقيقة بالتقريب.

ثم غابت عن أنظارنا. كان كل منا أثناء هذه القنبلة وهو رابض في مكانه، خائفا من وصول طائرات أخرى.

كما كان لسان حال كل منا يقول داخل نفسه : لطفك يارب؟ النجاة يارب؟؟؟... أطِلّ حياتي يارب حتي أحقق أمنيتي الغالية من علائق الدنيا وملذاتها ؟ أمنيتي الإنتقام من عدوك وعدونا حتي أسترد شرف أمتي المهزوم؟

لقد مشيتُ مدة طويلة وتعبت كثيرا لأنتقم من الكفار والمنافقين، وأطبق أمرك الوارد في كتابك العزيز : «وجاهد الكفار والمنافقين، واغلظ عليهم...»

حينئذ قام قائد الكتيبة من مكانه ونطق بصوت مرتفع: العافية؟ هيا نرحل من هنا. وفي غمضة عين قمنا من أماكننا المتباعدة هنا وهناك، وبجمع شملنا في مكان واحد. ثم سرنا مسرعين بإتجاه جبل آخر كان يقابلنا شرقا. كان بينهما وادي كبير وعلى جانبيه أدغال كثيفة من الأشجار، وعند اقترابنا منه وجدنا أنفسنا محاطين بجنود مدججين بالأسلحة. وقفنا مذهولين لاندري مانفعل؟ وإذا بأحدهم يقول لنا: لاتخافوا؟ نحن إخوانكم. تقدموا إلينا ؟.حمداً على سلامتكم. لحظتها سكنت نفوسنا واطمأنت. وسلمنا لهم أنفسنا بكل سهولة ويسر. في هذه الأونة أحسسنا بنهاية رحلتنا ونجاحنا في آن واحد.

---

(1) يسمي المجاهدون والمواطنون الطائرة الإستكشافية: البياعة لأنها تكشف مواقع المجاهدين وتبيعها للطائرات القاتلة.

عن قسم الإعلام والثقافة والمحافظة السياسية
للجيش الشعبي الوطني



بادورنا بالترحيب والتحميد، فهدأ وأمن روعنا وهلعنا، وأزالوا عنا الهم والغم وعناء التعب ومشاق التنقل مع المسالك الجبلية الصعبة، وبسرعة قدموا لنا الماء والخبز. في الوهلة الأولى عرفوا هوية الولاية التي انطلقنا منها باستفساراتهم التالية: كيف أحوال إخواننا بالولاية الرابعة؟ قلنا: لقد ألفوا ويلات الحرب والعذاب. تعودوا النار والدمار؟ ففي كل يوم قنبلة - أصوات آلام - اعتقالات- نهب. إيه هذه ويلات الحرب الذي لم يكن الشعب الجزائري يحبه ويرغب فيه، فالعدو الدخيل فرضه علينا فرضا، فنحن نحاربه ليس حبا في الحرب، وإنما لافتكاك أرضنا وشرفنا اللذين أخذهما منا عنوة وظلما، فهو يحارلنا ليس دفاعا عن أرضه وراء البحر، وإنما ليأخذ خيرات وطننا ويجعل شعبنا عبيدا وخادما لأطماعه البشعة. ولكن هيهات ثم هيهات لن يتأتى له ذلك مادام شعبنا قد انتهج أسلوبا صحيحا لانفكاك أرضه واسترداد كيانه. أسلوب فضل فيه الشهادة عن حياة الذل والهوان، والنار عن العار. أصبح شعاره القول المأثور :"لايفل الحديد إلا الحديد"

وقول أبي القاسم الشابي:

"ومن يهب صعود الجبال ** يعش أبد الدهر بين الحفر

في المنعرج الخطير

في هذه النقطة بالذات من حوار الأشقاء، سكت المتحدث عن الكلام ليشد أسماعنا صوت ينادي من أعلى ربوة: "الله أكبر، قافلة عسكرية على بعد 15 كلم قادمة مع الطريق الجبلي غربا"؟!. وقفنا مسرعين وأعيننا مشدودة نحو الجهة الغربية برهة من الزمن، وإذا بقائد الكتيبة المضيفة الأخ بن جدو يقول: "أنتم ياشباب؟ إنطلقوا حالا صحبة تمون كتيبتنا نحو مرتفع السلسلة الجبلية الشرقية لترتاحوا هناك"، ثم التفت إلى أفراد كتيبه وقال: "أما نحن أيها الإخوة فسنرد للعدو الصاع صاعين في هذا المساء؟ سنثأر لمواطني هذه المنطقة الذين قتلوا ودمرت منازلهم وشردوا شرّ تشريد".

سننتقم لهم ولأنفسنا بذلك المنعرج الخطير الذي ستمر معه قافلة العدو، وهو منعرج لايسمح للعدو بالإختفاء عن رشاشاتنا ومحاولة الرد للدفاع عن نفسه؟!

إثر هذه التعليمات سرنا شرقا،وساروا غربا، وذلك في حدود الساعة الثالثة والنصف مساءا، وكل منا ومنهم يرجو النصر المبين على العدو. كنا نسير ونبتعد عنهم بأجسامنا فقط، أما قلوبنا فبقيت معلقة بالإخوة الزاحفين نحو العدو لمباغتته على حافة المنعرج الخطير،لينتقموا لأنفسهم ولنا، بل وللمجتمع الجزائري كله.

كانت أعيننا مشدودة شرقا،وأذاننا ترهف السمع غربا لتنقل إلى أعماق نفوسنا الآملة في غد مشرق، تنقل إلينا الصوت المنتظر. الصوت الذي يبعث في أجسام أعداء شعبنا الموت الذي يكرهه كل البشر ماعدا شعبنا الذي أصبح يكنه ويرجوه من أعماق قلبه لعدونا الجاثم على أرضنا، بل وظل يعمل في كل حين لقتله ودحره من على أرضنا التي اغتصبها من شعبنا ظلما وعدوانا مدة قرن ونيف، وحين نسمعه نتوقف على السير ونبتسم،ثم نجلس لنستمتع بحماس شديد لصوت الإنتقام المزمجر على سفح الجبل المقابل لنا غربا من بدايته حتى نهايته السعيدة لإخواننا ولإنسفنا المتألمة، وحتى نهايته الأليمة لأعدائنا، حينئذ تندمل جروحنا ويعود الاتزان الى نفوسنا،ويزول عنا العياء والياس.

كان لسان حالنا هذا ونحن نصعد جبلا شاهقا نتسلق صخورا عالية صعبت علينا الطريق، ولم يكن لنا مناص إلا أن نسير بمحاذاته حتى نجد منفذا نعبر منه.

كانت الساعة آنذاك الثالثة والنصف مسا،،وإذا بالصوت المنتظر يهز المنطقة، صوت الرشاشات يدوي في المنعرج المنحدر لمدة دقائق بدون انقطاع. تخللته انفجارات عدة اهتزت لها كل جبال وتلال المنطقة. حتى جبلنا اهتز هو الآخر، وإذا بدخان أسود يتصاعد ببطء، وإذا بأزيز الطائرات يملأ المنطقة.

سكت صوت الإنتقام لحظات،ثم سمعنا دويا ثانيا معترضا هذه المرة سبل الطائرات المغيرة، وإذا بالنار تشتعل في السماء ثم تهوي على الأرض تجر وراءها دخانا أسود هي الأخرى... حدث هذا لطائرتين،ولاذت البقية بالصعود إلى السماء عاليا ثم اختفت وتلاشى أزيزها من سمائنا. تمت عملية الإنتقام، وسكت صوتها

في حدود الساعة الرابعة والنصف مساءا، تمكن الأبطال من تطهير جبل وسماء، وأرض المنطقة من دنس العدو وطغيانه، لم يبق فيها إلا أهلها الحقيقيون يجمعون غنائمهم ثم ينطلقون نحونا ونشوة النصر تملأ نفوسهم.

أما نحن الشباب فقد أنطلقنا بإتجاه الموقع المعدد لتمركزنا رفقة الممون بعد أن استمتعنا بما حدث للعدو، كانت الشمس عند الأفق تكاد تختفي وراءه وينزل ظلام الليل، سرنا الى أن بلغنا قمة الجبل الشاهق،ثم انحدرنا مع منخفض بين التلال،وواصلنا مسيرتنا، قطعنا حوالي 15 كلم.

لقد أجهدنا المشي،وصرنا نتحامل عليه للوصول الى الموقع. لقد إنهار بعضنا إلى حد أنه لم يستطع الوقوف ليخطو بعض الخطوات، حينذاك قررنا التوقف لنسترد أنفاسنا بعض الشيء، ارتحنا حوالي ساعة، بعدها أحسسنا باستعادة بعض قوانا،وشرع الممون يشجعنا على السير،مؤكدا لنا أننا على وشك الوصول الى الموقع، تشجعنا وسرنا وراءه إلى أن وصلناه في حدود الساعة الحادية عشر ليلا، وجدنا به فوجا من المسبلين،وممرضا يعد الخبز لكتائب جيش التحرير بالناحية.

وأول ماقدم لنا هو علاج المجروحين منا فنظفوا.. الجروح.. وضموها. ثم تناولنا قليلا من الحليب الساخن ثم الخبز والزيتون.

ابتلعنا كل شيء بشراهة وقلنا هل من مزيد؟ لأن الجوع كاد أن يفنينا هو الآخر.

بسرعة نام معظمنا نوما عميقا، لأننا لم نذق طعم النوم أكثر من 48 ساعة، نمنا حتى حين وصول الكتيبة البطلة مع بزوغ الفجر حيث استيقظنا وكلنا حيوية ونشاطا، فرحنا كثيرا بعودة القائد وأفراد الكتيبة سالمين غانمين، من المعركة البطولية التي خاضوها مساء الأمس، في هذه اللحظات قام الممون بتوزيع الخبز والزيتون على مجموعتنا، وفي ذات الحين قام القائد بن جدو وسلم للمسبلين الأسلحة المغنومة وأمرهم بتوزيعها على أفراد الفصائل الأخرى بالناحية في أقرب الآجال، ثم توجه للجميع قائلا: إخواني الأعزاء،إن بقاءنا في هذه المنطقة سوف يعرضنا لأعظم خطر!!

فأغلب ظني أن العدو سوف يقوم صباح اليوم بحصارنا. ثم يقنبلها عندما يزول الضباب والسحت عن المنطقة قصد متابعتنا، والإنتقام لقتلاه بالأمس، لذا يجب علينا أن نبتعد عن هذه السلسلة الجبلية، لنتجنب كل خطر محتمل قد يداهمنا. فردا ء الطقس هذه تساعدنا عن السير نهارا صوب الشرق، والخروج من كل هذه السلاسل لمشبوهة بوجودنا، وفي نفس الوقت تعرقل تحرك آليات العدو، وتعيق طائراته من التحليق على مستوى منخفض. ومادام الأمر كذلك، فلنتوكل على الله ونغادر الجهة إلى جهة أخرى، حيث نكون في مأمن من أكتشافنا. ونحن نسير، ثم هتف فينا قائلا: وحتى لايضيع الوقت، هيا اتبعوني سريعا. لم يكن ثمة مجال للتساؤل؟. اندفعنا ورا ء ورحنا نزحف وسط غابات واسعة، واذا بالمطر بدأ ينهمر بغزارة مصحوبا بحبات البرد وكريات الثلج وكثافة الغيوم والضباب، جعلتنا لانرى بعيدا أي شيء، وفي هذا اليوم كنا نتقدم دون أن نميز شيئا من آمامنا. فليشملنا الله بحفظه ورعايته، قضينا وقتا كبيرا من النهار ونحن نسير والصمت يلازمنا، وكل منا مشغول الخاطر بالمصير المشترك. أو بأفكاره الخاصة. وكم كانت فرحتنا كبيرة عندما أمرنا القائد بالتوقف حين وصلنا سفح يقينا من عصف الرياح الشمالية الباردة. كان تنقلنا في هذا اليوم محفوفا بالمخاطر حقا. برد قارس، تساقط الثلوج والأمطار. كنا تماما كمن سقط في بركة ما، بارد بثيابه. ثم خرج منها وهو يرتعش وأسنانه تصطك وثيابه مبللة تسيل، كان سؤال صامت في فم كل واحد منا ونحن في هذه الحالة. هو: رحمتك يارب؟ ارزقنا القوة والصبر يارب، وكانت فرحتنا أكبر من الأولى عندما أمرنا القائد بإشعال النار حين قال: لاداعي للخوف، فالقمة مغشاة بضباب كثيف. لايميز دخان النار من الضباب. أسرع بعضنا بجمع الحطب غير المبلل تحت الأشجار العالية، وبصعوبة بالغة تم إشعال النار، والتف الجميع حولها يتدفأ بالتناوب. ثم شرعنا في تسخين ماكان معنا من الخبز المبلل هو الآخر. جلسنا حول النار وتناولنا طعامنا. كانت الساعة حينذاك الثالثة مساء ولايزال الجو مكفهرا، والمطر يهطل، والثلج يسقط بكثرة،، الواقع أننا في مأزق، ولكن لنحمد الله ونأمل خيرا فيه. فنحن بلا طعام كاف، وبدون مأوى يقينا شر قساوة البرد القارس. إن البرودة تشتد والدم يتجمد في عروقنا إن لم نتمكن من إيجاد مأوى نحتمي به. أو ننحدر من الجبل الى السهول حيث يكون البرد أخف. لكن السهول مكشوفة والعدو في حالة تأهب واستنفار لمداهمة كل هذه الجبال، عندما يصحو الجو. وإننا نستطيع على أية حال أن نجتاز هذه المحنة أحياء إن شاء الله.

لا يأس مع الحياة

في هذه الآونة الحرجة هتف القائد فينا قائلا: يارجال؟ فلا يأس مع الحياة، وثقوا بأننا سوف نجد مخرجا لمأزقنا هذا عندما يحل ظلام الليل. لقد احتفظ القائد كعادته برباطة جأشه وتوقد ذهنه، بَدَا كما لو كان يفكر في خطة لايريد الكشف عنها إلا في وقتها المناسب. احتمي كل منا بصخرة أو بجذع شجرة على أمل أن تتوقف العاصفة الثلجية وينزل ظلام الليل. مرت دقائق تلو الدقائق ونحن ننتظر نزول ظلام الليل. وفي ذات الوقت أمر قائد الكتيبة بأن يفعل أي شيء من شأنه مساعدتنا على الإفلات من الهلاك المحدق بنا. كان السؤال الذي يتردد في أذهاننا جميعا. هو: أية وجهة سنقصدا؟ وأي عمل سنفعل؟ لاندري؟! عندئذ قام القائد يعلن الحقيقة بقوله: يا اخوة،علينا أن نبرح المنطقة الآن، فبقاؤنا هنا يومين أو ثلاثة قد يعرضنا إلى الهلاك، وهكذا تجري الرياح بما لاتشتهي السفن، وأصبح من الصعب علينا المكوث في هذه القمة. إذ لاحيلة لنا في مواجهة قساوة البرد ومقاومة الجوع. وعليه فلنتوكل على الله. وننحدر صوب قرية مدمرة في أسفل الجبل المقابل لنا؟ هيا معي. انطلق وانطلقنا وراءه متتابعين تحت ظلام الليل وعلى ضوء الثلج. سرنا معظم الليل بدون توقف. بدأ الكثير منا يتضمر ويطلب التوقف والراحة. الموقف لايسمح بالتوقف والراحة، علينا أن نصل إلى القرية المدمرة قبل أن يتضح النهار، فهي منطقة محرمة على الإنسان الجزائري. قضينا ليلة ليلاء، حالكة لايرى فيها قمر ولانجوم. المهم كنا نزحف وراء القائد دون أن نعرف أين نسير؟ صار كل أملنا ورجائنا في النجاة لافي سواها. إلى أن أتينا منطقة مكشوفة. لاشجر. لاحجر. انبطحنا على الأرض لبعض الدقائق، حيث انتقلت الى كل منا أوامر القائد يأمرنا فيها بالسير سريعا، فالفجر أوشك على البزوغ،والقرية لازالت بعيدة. زحفنا بسرعة إلى أن وجدنا أنفسنا وسط سكنات متناثرة هنا وهناك، لقد وصلنا الى الهدف الذي حدده القائد بدون شك. أمرنا بالانبطاح ثانية لبعض اللحظات.

في القرية المدمرة

زحف القائد وحده ليختار من السكنات المهدمة سكنا صالحا لإقامتنا وإيوائنا. ثم عاد إلينا وأمرنا بالسير نحو السكن الذي اختاره، وصلناه مع الفجر، دخلناه بالرغم من ظلمته الشديدة وكثرة الحشرات والفئران، ومع هذا كله شرع الجميع يحمد الله سرا وعلانية، وهكذا قر في أذهاننا أننا لن نبرح هذا السكن قبل نهاية موجة الشتاء الباردة هذه، فالخطر هنا ليس ببعيد الإحتمال، ولكن نحمد الله أننا تحصلنا على هذا السكن، غنا بالتناوب حتى زوال اليوم الموالي، ساعتئذ نهضنا جميعا وقد استعدنا قوتنا وبشاشتنا، وقد هدأت تلك الموجة الباردة، وصفا السماء، وبدأت معه أشعة الشمس تسطع على ربوعها. خرجنا من الغرف المظلمة الى الساحة وجلسنا نتمتع بأشعة الشمس وحرارتها الضعيفة ونستكشف ما حولنا لينبعث الأمل في قلوبنا، ففوقنا (جنوبًا) كانت جبال شاهقة تمتد شرقا وغربا تغطي الثلوج قممها، وشمالا سهول مترامية الأطراف، قضينا ثلاثة أيام بالسكن المهجور، نقتات بما كان معنا من خبز قليل وكمية من الحمص والتمر.

كنا نقضي معظم الليل الطويل البارد مجتمعين متلاصقين حول النار يسائل بعضنا البعض عما فعل في الماضي وسيفعل في المستقبل بحول الله، وفي الجزء الأول من الليلة الرابعة كنا نسمر كالعادة يسأل أحدنا ويجيبه الآخر بسؤال، وإذا بالحراسة تخبرنا بأن أناسا يتقدمون نحونا. بسرعة مذهلة خرجنا من السكن وانتشرنا حوله مسددين بنادقنا نحو القادمين المجهولين، وماهي إلا بعض الدقائق حتى اقتربوا منا حيث أوقفتهم الحراسة ثم استنقطتهم، وأخيرا تبين أنهم مسبلون يحملون المؤونة الى موقع كتيبة محلية كانت متمركزة بالجهة، حينذاك استقبلناهم وأدخلناهم إلى داخل سكننا المهدوم، وألقينا مزيدا من الحطب ليدفأوا وندفأ معهم، أنتابنا وقتئذ إحساس أخوي حميم ونحن معهم ثم طلب قائدنا منهم تسليمنا كمية من الخبز وبعض علب المعجون والسردين ويسجلها لهم على ورقة استلام يقدمونها لطالبها كدليل قاطع بأن كتيبة بن جدو هي التي اعترضت طريقهم، وأنقصت من مؤونتهم، لبوا

طلبه بصدر رحب، لقد ارسلهم الله رحمة لنا في وقت كان الجوع قد عشعش في أمعائنا ونخر قوتنا ولاحيلة لنا في الحصول على الغذاء فنحن منحصرين في منطقة خالية من السكان الذين هم شريان حياتنا، رحمتك يارب!.

بادرهم القائد بن جدو بسلسلة من التساؤلات:

كيف أحوالكم وأحوال المنطقة التي جئتم منها؟

لابأس على كل حال، فالمواطنون قد ألفوا كل شيء، حتى الموت ألفوها؟!

كيف ذلك؟ لقد دمر العدو قرية كاملة بمن فيها منذ خمسة أيام اثر هزيمة نكراء أنزلها به المجاهدون قرب أولاد تبان، بلغنا أن كتيبة القائد بن جد أبادت قافلة تتكوم من 20 شاحنة وأسقطت طائرتين. ومنذ ذلك اليوم وقوات كبيرة من العدو تحاصر كامل المنطقة -من منكم يعرف بن جدو؟ لا أحد منا يعرفه

أنا هو بن جدو وهذه هي الكتيبة التي تتحدثون عنها، وهؤلاء الشباب في طريقهم الى تونس.

- يامرحبا بكم، نعم مافعلتم أيها الأبطال؟!!

- لكن ياإخواني منذ يومين لم نذق الطعام لأننا لم نجد من يموننا بهذه الجهة؟ فما رأيكم لو تتفضلون بإضافتنا كمية أخرى من المؤونة لنشد بها رمقنا حتى تهدأ موجة البرد هذه

- لكم ماتريدون شريطة أن تمدونا بوثيقة رسمية تبين ماقدمناه لكم فعليا؟!!

- قال بن جدو: لكم ماتريدون. وفورا أخرج ورقة من محفظته وراح يكتب عليها عدد الأرغفة وعلب الجبن والسردين والمربى التي استلمها منهم ثم ضمنها تشكراته وتحياته الى مسؤول الكتيبة المحلية.

وعند الساعة الحادية عشر ليلا استأذن المسبلون بالذهاب الى موقعهم في جنح الظلام.. ساعتها ودعناهم وودعونا وانصرفوا، وفي ذات الحين قام القائد بن جد ووزع ماتكرم به الإخوة علينا..

تناولنا جزءا منه واحتفظنا بالبقية لفطورنا في اليوم الموالي.. في هذا الوقت قام القائد وحمل سلاحه وأمرنا بتحضير أنفسنا لمغادرة الموقع وبسرعة كان كل منا قد هيأ نفسه واطمأن على وضع سلاحه ولوازمه.. ثم انطلقنا صوب السلسلة الجبلية في حذر. لأن الليل مقمر وقد يفاجئنا العدو في كل خطوة رغم أن المنطقة



ـ غنائم المعركة

ـ صورة تذكارية للإخـوة المجاهدين و للغنائم التي غنموها

فـي معركة ضارية مع العدو يوم 27 . 01 . 1959 بـ [غار الدخيج]

فـي أقصـــى الشرق الجزائري .

عن مجلة أول نوفمبر . العدد 52 / 31

محرمة.. ولكن من يدري؟ المهم بتنا نسير إلى أن بدأ ظلام الليل ينجلي، والرؤية تتضح أكثر.. كنا قد وصلنا سفح جبل حيث توقفنا لأخذ قسط من الراحة ولتدبر في موقفنا من جديد.. ارتحنا إلى أن أظهرت الشمس في كبد السماء، حينئذ قمنا نستكشف ماحولنا.. لقد انتبهنا إلى جبل يمتد على مدى البصر شرقا...

على قمة الجبل

.... تبين لنا أننا نقف على جبل يشرف من بعيد على السهول الشرقية للهضاب العليا،، كما تبين لنا أن لاوجود للعدو وبكامل الجهة... قضينا الفترة الصباحية يومها وسي بن جدو يحدثنا عن معارك خاضها واشتباكاته مع العدو، وكان يشجعنا ويملأ فيض نفوسنا أملا وحماسا وشوقا لمواصلة الراحلة إلى منتصف النهار، حيث تجمعنا وتناولنا ماعندنا من غذاء، وكلنا حيوية ونشاط..

شمس هذا اليوم كانت دافئة للغاية، وفجأة نطق القائد قائلا: أيها الإخوة، حان وقت فراقنا.. أنتم ياأبنائي انطلقوا الآن لاكتمال مهمتكم صحبة هذين الأخوين إلى حدود الولاية الموالية.. أما نحن فسنعود الآن الى منطقة عملنا.. وقبل أن نفترق أوصيكم كما أوصي نفسي وإخواني على الصمود ومواجهة العدو بكل حزم وعزم، حتى النصر أو الاستشهاد. كما أوصيكم بتبليغ سلامنا الحار إلى المجاهدين الذين ستلتقون بهم في الوطن أوخارجه، دمتم ياإخواني في رعاية الله وحفظه، ثم صافح وقبل كل واحد منا قبلة أبوية في دفئها وحرارتها..

في هذه اللحظات انهمرت دموع الكثيرين منا ومنهم لأنهم كانوا ينظرون إلينا بعين الشفقة لصغر سننا وصعوبة مهمتنا، وكنا ننظر إليهم كآبائنا وإخوتنا الكبار لما قدموه لنا من المساعدة وحسن المعاملة وجزيل الكرم، وما لمسناه من محبتهم الطاهرة لنا،، تعانقنا جميعا مرة ثانية وإنطلقنا ونفوسنا مستبشرة متفائلة بإتمام الرحلة وتحقيق مبتغانا.. كنا كلما تقدمنا إلى الأمام يتراءى لنا عالم آخر لانهائي من الجبال والصخور الجبلية العالية أكبر من جبال الشريعة وبوقعودن وجبل ديرة وكل الجبال التي قطعناها في الأيام الأولى من رحلتنا؛ وهي جبال أريس وقمة الشيلية الشاهقة. فسلسلة جبال الأوراس، مثل جبل الأبيض والطرف كيمل وابو

عبرنا قمة ومنحدرات هذه السلاسل الجبلية،وكلما تنقلنا من ناحية الى أخرى، كنا تحت رعاية وحماية مسؤولي الناحية التي نكون فيها.. كنا لانغادر الناحية إلا إذا أعطى لنا مسؤولها إشارة لذلك، ففي معظم مراكز هذه النواحي تقريبا اجبرتنا ظروف أمنية قاهرة على المكوث مع مجاهديها لعدة أيام.. تقاسمنا معهم كل شيء،بل وفضلونا على أنفسهم،وصرنا أرواحًا لجسم واحد، أملها واحد، هدفها واحد، آلامها، جراحها، جوعها، تشردها واحد، عدوها واحد.. كانوا العيون الأمينة في حراستنا، سواء كنا نياما أو يقظين، كانوا بالنسبة لنا النور الذي نهتدي به طريقنا،ونبصر به دربنا عبر المسالك والممرات الجبلية.. بهذا الأسلوب اجتزنا المناطق الوسطى،وبه واصلنا طريقنا صوب سلسلة جبل أريس، ومنه إلى الأوراس، سرنا يومين كاملين في رعاية الله،وبمساعدة المجاهدين الذين شملونا بالرعاية إلى أن بلغنا جبل أريس..

في الولاية الأولى

.. على مشارف آريس إلتقينا بقائد الولاية الأولى،الحاج الأخضر الذي استقبلنا استقبالا أبويا، ثم وزعنا على مراكز التموين بالجهة.. مكثنا أربعة أيام تحت إشرافه،حيث كانت المؤونة تصلنا بانتظام الى غاية مساء اليوم الخامس.حين جاءنا أمر قائد الولاية الحاج لخضر يأمرنا فيه بالإلتحاق به على جناح السرعة رفقة ميعوشيه.

أعددنا أنفسنا بسرعة،وانطلقنا مسرعين بمحاذاة الجبال والتلال إلى أن آتينا موقعه في حدود الساعة الحادية عشر ليلا صحبة عدة فصائل،وجدناه في انتظارنا،، استقبلنا كعادته بفيض من العطف والحنان،وهو يقول تشجيعا لنا: مرحبا.. مرحبا بالشباب الأبطال!. وقفنا أمامه وقفة التلميذ أمام أستاذه، حينئذ تقدم إلى كل واحد منا وقبله بحرارة أحس منها كل منا بفيض من العطف والحنان ينبع من قلبه إلى قلوبنا.. جعلنا نحس وكأننا نعانق ونقبل والدينا اللذين تركناهما منذ أيام عديدة.. ثم أمرنا بالجلوس،فجلسنا،وشرع يستفسر عن أحوالنا بقوله:كيف هي أحوالكم؟ لابأس والحمد لله. هل ارتحتم جيدا بالمراكز التي جئتم

منها؟ وكيف تركتم أحوال إخواننا بولايتكم؟ تركناهم على مثل الحالة هنا.. اشتباكات.تدمير، قتل، تشريد. // إنه ياشبابنا،العدو في الشرق الجزائري أو في غربها دائما هو هو، وأعماله البربرية الشنيعة في كل تراب وطننا هي هي، فهدف العدو من هذه الأعمال واضحة، هو امتلاك أرضنا،واستغلال خيراتنا إلى الأبد، واستغلال شعبنا الأبي، ولكي يحقق ذلك يحاول إرهاب الشعب الجزائري المجاهد بكل مايملك لإطماعه الدنيئة. لذا ياأبنائي وجب علينا أن نرد عليه بعنف،وأن نُصْلِ النار على العار.. لقد علمنا التاريخ أن الهجوم كان خير وسيلة للدفاع، واشتداد المعارك في كل ربوع الوطن يبعثر قوته ويرهقها،ويقلل من فاعليتها، وبالتالي تسهل علينا هزيمته، علمنا التاريخ كذلك أن الأعتماد على الجماهير الشعبية وخاصة الشباب خير ضمان لاستمرار القتال ضد الأستعمار الفرنسي وعملائه في وطننا الجزائر الحبيبة.. إني واثق من أن زحف ثورتنا الشعبية المباركة سيزداد قوة وضراوة،وسيجرف أمامه العدو وعملاءه لامحالة عاجلا أم آجلا، فكونوا ياشبابنا نارا تحرق باستمرار أقدام العدو الهمجي في كل شبر من أرضنا، وبهذا تحققون لشعبكم وأمتكم عهدا مشرقا إن شاء الله،وهذا أملي وآمال الشعب الجزائري فيكم،فلا تخيبوا آماله في الحرية والعزة والكرامة؟.لن نخيب هذه الآمال وسنحقق كل مايصبو إليه شعبنا بحول الله. شكرا للجميع. ثم قام وصرخ مناديا: هيا،قدموا العشاء لضيوفنا الأبطال/ هيا/ هيا بسرعة/فماهي إلا لحظات حتى دخل في وسط الحلقة مجاهدان يحمل أحدهما خبزا و والآخر تمرا،فوزعاه علينا بسرعة.. أكلنا بعضه واحتفظنا بالبعض الآخر في جيوبنا، وبعد أن أنتهينا من تناول العشاء بقليل أمرنا الحاج لخضر بالتأهب لمواصلة المسيرة،وكلف فوجا من الأفواج التي كانت معه باصطحابنا وحراستنا إلى غاية منطقة النمامشة..

في أوراس النمامشة

في حدود الساعة الواحدة ليلا ودعنا القائد، وكلفنا بتبليغ سلامه لكل المجاهدين العاملين وراء الحدود. ثم أعطى لنا إشارة الإنطلاق بالقول: سيروا موفقين إن شاء الله؟ بسرعة دلفنا تحت ظلام الليل الدامس شاقين طريقنا مع حجر الأوراس، [illegible] ننتقل من تل الى آخر،ومن مرتفع إلى آخر متحدين برد الأوراس

القارس، غير عابئين بالخطر والتعب والنعاس. وصلنا إلى مشارف أوراس النمامشة في حدود الساعة العاشرة ليلا، حيث أوقفتنا حراسة جيش التحرير. وهنا نزلنا ضيوفا على مجاهدي هذه الناحية لمدة يومين، حيث تقاسموا معنا كل شيء،، كل شيء، ماعدا النوم والحراسة،، كنا ننام ماشئنا ولايسمح لنا بالحراسة مثلهم شفقة علينا، لأن قيم وتقاليد الضيافة عند شعبنا سواء أكانت الضيافة في حالة السلم أو الحرب فهي هي، هذه المظاهر.. صفة لمسناها في كل المواقع والمراكز التي حللنا بها.. قضينا ثلاثة أيام ممتعة مع عدة فصائل بناحية النمامشة،تعلمنا منهم أشياء كثيرة،وخاصة فيما يتعلق بالأسلحة المتطورة وفنون القتال،، تعلمنا تفكيك الأسلحة وتركيبها والرمي بها، إذ كانوا يتدربون على الرمي بالذخيرة الحية في وضح النهار، فكانوا يضعون مرآة صغيرة الحجم على مسافة معينة ثم يرمونها بالرصاص، وفي مساء اليوم الثالث وصل إلى مركزنا قائد المنطقة صحبة المرشد العسكري لكتائب الولاية الأولى،وفور وصولها طلب قائد المنطقة عقد اجتماع مع كل الفصائل وأفواج الناحية،ولم يمض إلا وقت قصير حتى تجمع عدد كبير من المجاهدين بمكان واحد، حينداك دخل وسط الحاضرين وشرع يتفقدهم واحدا واحدا.. ويستفسر عن أحوالهم،وبعد هذا أعطى الكلمة للمرشد الذي كان واقفا بجانبه ثم تحرك قليلا وقال فيما معناه:

خطاب المرشد العسكري

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد: أيها الإخوة،نحن في ساحة الفداء، مستعدون إلى التضحية بأعز مانملك، وهي أرواحنا من أجل حقنا وعقيدتنا وعزة أمتنا، لانهاب هول الحرب وويلاته حتى تحقيق مانؤمن به،وتضحيتنا لاتكون صادقة إلا إذا كان إيماننا عميقا ووطيدا بعقيدتنا وتحرير وطننا،ورد شرفنا وشرف مجتمعنا، وأعتقد أيها الإخوة،أنه ليس فينا من يضحي بنفسه من أجل غرض البطولة أو الشهرة ولا لمتعة أو منفعة دنيوية، وإنما كلنا بعنا أنفسنا لله سبحانه وتعالى في سبيل إعلاء دينه وإزالة مانزل على وطننا وشعبنا من ضيم واستبداد بغيض، ولاينبغي أن تفهموا من أن التضحية لاتتحقق إلا بالموت، فكم من مجاهد خاض



... صورة الشهيد : الحاج محمد المهدي مسؤول الشؤون الدينية بالمنطقة 2 الولاية الرابعة.

أخذت الصورة من التقرير المقدم للملتقى الوطني لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للولاية 4 ج 1

القادر الذي حارب 17 سنة. فالجهاد ضد الظلم والطغيان فريضة من قام بها وصدق عزّ، ومن أهملها وخادع فيها ذل. فقال عز وجل " وجاهدوا في الله حق جهاده". وقال:« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين!،" وأمرنا بقوله: " ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"، وأرشدنا إلى أن الجهاد قد يكون ببذل الأموال وتقديم النفس فداء لغاية الجهاد وهدفه. فأمر عباده المؤمنين بذلك بقوله: "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله".إذن فعملنا ياإخوة الجهاد،هو التهيّؤ والإستعداد للقاء الموت في أية لحظة،وعدم الرهبة من إنتهاء حياتنا.فالموت آت لابد منه،ولاسبيل للتخلص منه، مصداقا لقوله تعالى: ,, يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة".ولقوله:"نحن قدرنا بينكم الموت".وأكد لنا أنه لامفر من الموت فقال:

(قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل.) صدق الله العظيم.

ومادام الموت لابد منه،ولا محيد عنه ياإخوة الجهاد.فإن موتنا في سبيل رد شرف أمتنا وكرامتها خير لنا من أن نموت جبناء محقورين، وفي هذا الشأن يقول المتنبي:

"وإذا لم يكن من الموت بدّ،فمن العجز أن «تعيش» جبانا"

ومادام الأمر كذلك فمن الأجدر بنا جميعا أن نندفع الى ساحة الجهاد معتمدين على ربنا،واثقين في نهاية سعيدة من جهادنا.. حتى النصر أو الأستشهاد،غير هيابين ولا وجلين، شعارنا قوله: "وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا). أيها الأخوة،إن الطريق الذي اخترناه من تلقاء أنفسنا ليس مفروشا بالورود والرياحين، وإنما هو الطريق الشاق، لكنه طريق المجد الأبدي، بين الله لنا فصل وشرف الجهاد والشهادة في قوله: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم... الآية". أما أنتم أيها الشباب الذين جئتم مشيا على الأقدام من الولاية الرابعة، فأنتم تقومون بعمل هو أشبه مايكون بالعمل الذي قام به المجاهدون الأولون من مكة المكرمة الى المدينة المنورة من أجل تقوية صفوفهم وعدتهم، فأنتم مثلهم مهاجرون في سبيل الله.. وإذا مات أحد منكم في هذا السبيل كتبت له الشهادة، ونال الخلود الأبدي،مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم" "من هاجر في سبيل الله فهجرته إلى ماهاجر" ولقوله تعالى: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله".لذا أيها الإخوة.. فلتكن رحلتكم هذه في

سبيل الله، ولاشك في ذلك، لأنكم مهاجرون من أجل إعداد العدة لمواجهة الأعداء، بل ومقابلة عدو من الذ أعداء دين الله وعباده المؤمنين، لأنكم تطبقون أمر الله القائل "وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم".. أيها الإخوة مادمنا قد بعنا أنفسنا لله لإعلاء دينه وإزالة الظلم والطغيان على عباد... فليكن السلاح القوي الذي يقهر ولايقهر ملء نفوسنا لايفارقنا ونحن نواجه العدو في كل حين، هو أمر الله لجنده، الواضح في قوله: "ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" وقوله: "ولينصرن الله من ينصره." صدق الله العظيم، والنصر والخلود لنا، والهزيمة لعدونا.. والسلام عليكم ورحمة الله.

ترسخ في أذهاننا أكثر من أي وقت معنى الجهاد والإستشهاد.. لقد ازاح المرشد ما كان عالقا بأذهاننا، كالخوف من الموت والرهبة من مواجهة العدو، وحبب لنا مواصلة الرحلة وإتمامها، وشوقنا إلى مكانة المهاجر في سبيل الله، كما بيّن لنا بوضوح أن الجهاد طريق المجد والخلود.. كما أشفى أعماق نفوسنا من معاناتها النفسية والمادية، فأنسانا تعب السير، ولسعات البرد، وعضات الجوع والعراء والنوم فيه، وفراق الأهل والأحباب، أحبيبنا وكانوا أحسن الناس في كل شيء في هذا العالم.. إثر إنتهاء الخطاب القيم الذي لازال راسخا في أذهاننا الى اليوم.. تقدم القايد وأضاف لنا توجيهات وإرشادات قيمة هي الأخرى حول إجتياز الحدود، وأخيرا أمر بتزويدنا ببعض المأكولات صحبة فصيلة بدون سلاح، ثم كلف فوجا من المجاهدين[1] بأن يصطحبنا صوب جبل بوخضرة، وبعد غروب الشمس بقليل أمرنا بالزحف.. بتنا نمشي إلى مطلع الشمس وجدنا أنفسنا بين جبل بوسبعة وجبل الذروة.. قمنا هنا، حتى منتصف الليل، تناولنا ماكان معنا من الطعام، ثم واصلنا سيرنا بمحاذاة جبل الجرف، صرنا نقترب شيئا فشيئا من جبل بوخضرة.. بلغناه في الجزء الأول من الليل.. ارتحنا به وقتا قصيرا، ثم تابعنا سيرنا بسرعة فائقة إلى جبل آخر تمكنا من الوصول إليه بسلامة مع مطلع الفجر.. أعطيت لنا الأوامر بعدم الوقوق والمشي طول النهار لأن المنطقة مراقبة بكل وسائل المراقبة برا وجوا، ظللنا متلاصقين بالأرض لانبدي أية حركة إلى أن أسدل ظلام الليل رداءه.. تنقلنا إلى ربوة غير مشبوهة وغير معرضة لقصف الطائرات.. قضيناها ليالي وأياما تنتظر وصول الأخبار والمعلومات حول مراكز العدو بمحاذاة الحدود.. كنا نرى ليلا أضواء قرية الوانزة وهي تتلألأ.. نقطة الحدود منطقة شبه

1 – كان من ضمن هذا الفوج الأخ المجاهد. السيد/ قرامي العيد الذي رافقنا من الأوراس إلى تونس، وعاش معنا أحداث اختراق خط وشماله، ولا يزال على قيد الحياة. وساهم مساهمة فعالة في إنجاز هذه القصة (جزاه الله عن عمله خير

صحراوية مكشوفة وعبورها نهارا أمر بالغ الخطورة.إن لم نقل عمل إنتحاري، لذا يجب علينا أن نجتازها ونجتاز خط شال ليلا.

.. خط شال مكهرب وملغم وأجتيازه ليلا أخطر بكثير.. وقفنا بهذه المنطقة.. بات موقفنا صعبا للغاية يتطلب منا فعل أي شيء للخروج من منطقة الخطر قبل فوات الأوان،أي قبل اكتشافنا ومداهمتنا ونحن عزل من السلاح.. أصبح لزاما علينا اجتياز المنطقة أو نعود إلى الوراء.. وفي مساء اليوم الرابع أصبح يهددنا الجوع بويلاته،وكان قد استقر رأي الجميع على العبور مهما كانت التضحيات لأن الجوع أصبح متربصا بنا،وقد استنفذنا كل ماكان معنا من الطعام.

ماهو خط الموت؟ هو الخط المكهرب[1]

تعريفه: أقام العدو خطوطا مكهربة ومفلمة على الحدود الغربية والشرقية من التراب الجزائري وقد أشتهر من هذه الخطوط: خط شال وخط موريس على الحدود الشرقية وهما يمتدان من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة الحدود بين الجزائر وتونس والخطان لايقعان على الحدود بالضبط،بل يقعان داخل التراب الجزائري بمسافة هامة وراء خط شال، وكان جيش التحرير الوطني قد أقام مراكز بها، كما كانت مجالا لمعارك ضارية بين جيش التحرير وقوات الاحتلال الفرنسية، ومن هذه المناطق كانت تنطلق الوحدات التي تعبر الخطين إلى داخل التراب الوطني،وتدعى هذه المنطقة بالقاعدة الشرقية، يتكون الخط كمايلي:

الخط الأول: وهو عبارة عن خط ملغم بالمفرقعات المضيئة عرضه 50 مترا، وقبل الوصول إلى هذا الخط تجد حزاما من الأسلاك الشائكة يبلغ عرضها 100مترا وارتفاعه 40سم.

الخط الثاني: خط مكهرب وهو عبارة عن خمسة أسلاك متراكبة بعرضها فوق بعض ومفصولة عن بعضها بعوازل، وارتفاعها حوالي 50.1م ويزيد عن 12000فولت وفوق هذا الخط المكهرب وضع العدو شبكة من الأسلاك الشائكة لحماية دباباته من قنابل المجاهدين الذين يرمونها باستمرار.

الخط الثالث: وهو عبارة عن أسلاك شائكة عرضه أربع مترات.الغرض من إقامته حماية الخط المكهرب من الحيوانات.وبعد هذا الخط مباشرة يوجد الطريق

(1) عن منشورات قسم الإعلام والثقافة لجبهة التحرير الوطني بتصرف

البحر الابيض المتوسط

الجزائر

تونس

خط شال

عنابة

بوحجار

تبسة

خريطة المنطقة (الحرام) أو المحرمة على الجزائريين بالعيش على أديمها طيلة سنوات الحرب المقدسة

من كتاب ثوار الجزائر، للدكتور يحيى بوعزيز بتصرف

الوطني رقم 44 الرابط بين مدينة عنابة والحدود التونسية، وبعد اجتياز الطريق بحوالي ثلاث أمتار فقط حفر العدو خنادق بالأسمنت المسلح يحمي نفسه من قنابل البازوكة من قبل المجاهدين، ويفصل هذه الخنادق عن بعضها البعض مسافة 200 متر، وحول هذه الخنادق شيد العدو عدة مراكز عسكرية تبعد عن بعضها بمسافة تتراوح بين 2 كم و5 كلم حسب وعورة المنطقة، وهي مسلحة بالدبابات والمدفعية البعيدة المدى من عيار 85و60و45 مم إلى جانب أبراج المراقبة التي كانت ترصد تحركات جيش التحرير الوطني بواسطة الأضواء الكاشفة..

الخط الرابع: يحمي هذا الخط.. الأسلاك الشائكة وحقل الألغام من الحيوانات.

الخط الخامس: هو عبارة عن حقل الالغام يترواح عرضه من 12 الى 30 مترا حسب الاماكن.

الخط السادس: وهو خط من الأسلاك الشائكة لحماية الألغام من الحيوانات. يضاف الى كل خط أبواق تصيح أتوماتيكيا (قف باللغة الفرنسية).

في هذا اليوم تغيرت أحوال الطقس.. غيوم كثيفة، أمطار طوفانية، رعود ورياح، ظل الجو هكذا مكفهراً إلى ظلام الليل.. إن رداءة الطقس هذه شجعتنا بأن نشرع في إتمام الرحلة والتغلب على مخاوفنا من الأخطار الجاثمة أمامنا، وعند نزول ظلام الليل، انطلقنا بسرعة كبيرة نحو الحدود، وما أن سرنا ساعتين أو ثلاثة حتى وجدنا أنفسنا أمام وادي كبير* يفيض ماء، قطعناه بصعوبة بالغة، حيث وصل الماء الى حد نصف بعضنا.. كاد إن يؤدي بحياة بعضنا، اجتزنا الوادي بسلامة، ساعتها أشتد بردنا وخوفنا أكثر من ذي قبل..

صرخة الموت

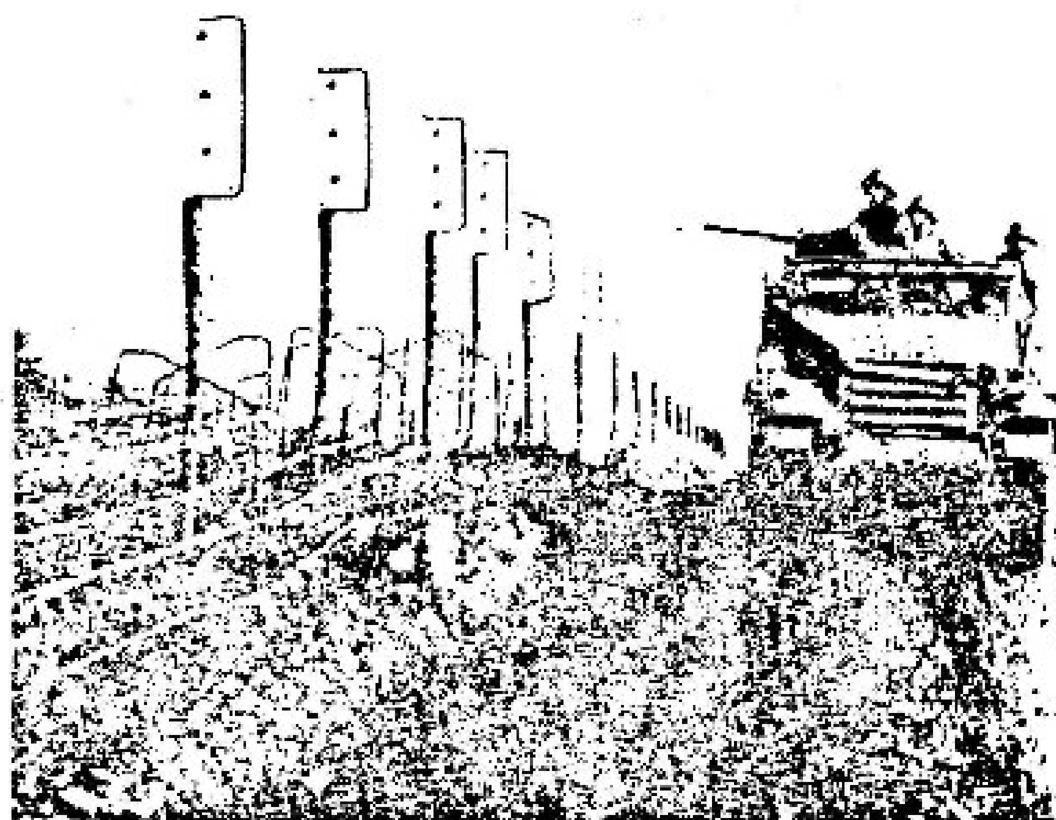
وبعد مدة وصلنا خط الموت وانبطحنا على الأرض نتحسس كل شيء، إنها أخطر مرحلة من مراحل رحلتنا الطويلة، اشتم كل منا رائحة الموت المنبعثة من الأسلاك المكهربة، ومن الألغام المدسوسة بينها/.. أسلاك مكهربة بـ 1200 كيلواط، وبمحاذاته عدة خطوط مكهربة وملغمة بعشرات القنابل الفردية

* [illegible]

والجماعية، وكذا العشرات من القنابل المضيئة التي تصعد عاليا بمظلات فوق أماكن أنطلاقها، ثم تنفجر وتنزل مضيئة رويدا رويدا لتكشف الداخل من الحدود أو الخارج منها، حينئذ تسرع مدفعية العدو في دك المكان المشبوه دكا،، إنه فن وتكنولوجية العدو لإبادة حاملي لواء الجهاد، أبناء الشعب الجزائري، وقد نتمكن من الأسلاك المكهربة إذا تمكنا من قطعها بنجاح، وإذا لم يكن ذلك يستحيل العبور وتقع الكارثة، وقد لانتجو من الألغام المدسوسة تحت التراب بالإضافة إلى ظلام ليل ديسمبر الدامس، واجتياز خط "شال" لايحدث كما نعلم إلا ليلا، أما من يريد اجتيازه في وضح النهار كمن يريد الإنتحار.

الساعة العاشرة ليلا.. ها نحن منبطحين قرب السياج القاتل والمطر ينهمر في هذه الآونة،وعلى بعد خمسة عشر مترا ينتظرنا الموت، أحسسنا به ولكننا لاندري من أي أنواع الموت؟ أهو الموت بالتيار الكهربائي؟ أو الموت بالألغام المدسوسة تحت التراب؟ أم الموت بقذائق المدفعية البعيدة المدى؟، لاندري بماذا سنصطدم ونموت؟ إما محروقين أو ممزقين إذا لم نتصرف بذكاء أقوى من ذكاء الذي زرع أنواع الموت في أرضنا لنموت ويحيا هو سعيدا؟، انتابنا في اللحظات الأولى رعب وخوف شديدان ونحن نتأمل موقفنا الجديد.. انشغل فكرنا بقطع التيار الكهربائي بسلام،، نسينا صور الموت،ولم تعد تخطر على بالنا، لأننا سبلنا أنفسنا فداء لديننا ووطننا، ولم يعد للموت مكانا في قلوبنا، وإنما كل ماكان يشد عقولنا.. وأذهاننا هو زحف أخينا المكلف بقطع الأسلاك المكهربة عندما يأمره قائدنا بذلك.

مرت علينا لحظات ثقيلة،وإذا بالقائد يشير له بيده لتنفيذ العملية، امتثل أخونا المكلف للأمر،وراح يزحف على بطنه إلى أن بلغ الأسلاك، ثم وقف على قدميه وشهر مقصه المقاوم لشدة التيار،وشرع يقص الخط الأول،وفي غمضة عين يحدث ماكنا نتوقعه ونخاف منه،، ويصرخ صرخة الموت الزؤام، رددتها أنفسنا داخليا وارتجت أجسادنا، حينئذ أمرنا بالتراجع إلى الخلف،وأخذنا نبتعد بسرعة عن الجهة،لأن انقطاع التيار الكهربائي بهذا المكان ينبه العدو إلى وجود المجاهدين بعين المكان.. وحينها يمطر الجهة بوابل من قذائف المدفعية، ارتبك علينا الأمر، وعمت الفوضى صفوفنا،واختلف المشرفون علينا في أخذ قرار لمواجهة المواقف المستجد ونحن واقفون لاندري ماذا نفعل للخروج من المأزق الخطير، وإذا بآحد المشرفين يقول: لنتجه نحو الشمال الشرقي؟ وأمرنا ثان على العكس من ذلك، وأمر ثالث بالرجوع مع الطريق التي جئنا منها، وأمر رابع بإتمام عملية العبور



- خط شال المكهرب

أخذت الصورتان من: (معارك ثورة التحرير)

منشورات قسم الإعلام و الثقافة. طباعة جديدة

الوحدة: العدد: 1982/114



مهما كانت قيمة الصعوبات والتضحيات، بينما نحن هكذا حتى بدأت قذائف المدفعية البعيدة المدى تنزل بالقرب منا وتحسم الخلاف القائم بين مشرفينا،وينقسم عددنا البالغ أكثر من 400 شاب إلى مجموعتين رغما عنا. اتجهت مجموعة صغيرة بقيادة سي البغدادي شمالا بمحاذاة خط شال،واتجهت مجموعة كبيرة بلا قائد صوب الجنوب الغربي من الخط، وكانت قذائف المدفعية تتساقط أمامنا تارة ووراءنا تارة أخرى، تتبعّ جميعنا إلى مصدر إنبعاث القذائف.. الجهة جرداء شبه صحراوية،، جرينا مبتعدين عن مكان القصف،واتجهنا دون أن نعرف هل نحن نجرى شرقا أم غربا،أو الى أي مكان يمكن أن نصل إليه؟ ولم نكن نعرف ساعتها من مات ومن جرح من المجموعتين، هرولنا طول الليل لنجد صخورا نحتمي بها عن أنظار العدو حين ينتهي ظلام تلك الليلة الليلاء ويتضح النهار، سرنا بدون توقف، أضنانا التعب وانهارات قوانا.. صرنا نتحامل على المشي بحثا عن ملجأ أو مأوى نأوي إليه، صرنا نجرُ أقدامنا جرا إلى أن ملأت عيوننا بيوت سكان الرحل بعد الفجر بقليل، أقتربنا منها بحذر وطلبنا ساكنيها باستضافتنا في هذا اليوم، وعلى التو لبوا طلبنا بصدر رحب.. سألناهم عما إذا كانت مراكز العدو قريبة منهم حيث طمأنونا بأن لاوجود لمراكز العدو بكامل الجهة، ولم تمض إلا دقائق معدودة حتى أحضروا لنا التمر والحليب الساخن،، أكلنا بسرعة ماقدم لنا بشراهة وقلنا هل من مزيدا إلا أن زادنا الوحيد هو القناعة بيننا وبين أنفسنا، لأن الجوع استوطن في بطوننا ولازمنا ملازمة الظل لأجسادنا منذ بدء المسيرة.. أحسسنا حينها بحرارة تسري في عروقنا وفي أجسامنا وبدأنا نشعر بالقوة والنشاط من جديد، نمنا بالتناوب طول النهار، مكثنا مع هؤلاء الرحل ثلاثة أيام في راحة تامة، تمكنا من ترقيع ملابسنا الممزقة، كما استطعنا أن نعرف من هؤلاء السكان نقطة حدودية غير ملغمة وغير مسيجة بالتيار الكهربائي، وعلى أساسها وضعنا خطة للعبور.

الخطة الذكية

أفادتنا معلومات الرحل في الأهتداء إلى خطة نجتازبها الحدود، تتمثل هذه الخطة في أن نوزع مجموعنا إلى مجموعات صغيرة،تدخل داخل قطيع من الغنم

ثم نساق القطعان في ضوء النهار باتجاه الحدود، وفي حالة ما إذا ظهرت طائرات العدو في سماء المنطقة يقتضي الأمر منا أن ننحني ونمشي على أربع مثل النعاج حتى لايتبين العدو أمرنا في وضح النهار، وفي أرض شبه صحراوية.

في مساء اليوم الثالث عقدنا إجتماعا مع مسؤولي الرحل وشرحنا لهم خطة تنقلنا إلى الحدود، وطلبنا منهم إعانتنا على تنفيذ الخطة.. أعطوا موافقتهم بكل سرور وفرح.. حددنا معهم موعد البدء في التنفيذ، وذلك في حدود الساعة العاشرة صباحا، وفي نفس الليلة عينا بالأجماع مسؤولا من صفوفنا هو الأخ أحمد مسطاش ليقود الجميع ويمتثل له الجميع.. لأننا منذ الكارثة ونحن بلا مسؤول، فمسؤولانا سي عمرو والبغدادي اتجها شرقا صحبة المجموعة الثانية قضينا الليلة الأخيرة مع الرحل نتسامر ونشرب الشاي المحضر بطريقتهم الخاصة، بينما كانت نساؤهم تحضرن لنا الخبز لنأخذه معنا ونقتات به في الأيام الموالية. وفي الصباح الباكر حضرنا أنفسنا للقيام بالمغامرة الجديدة في وضح النهار، وفي منطقة شبه صحراوية، وفي حدو الساعة العاشرة صباحا قربوا منا القطعان وشرعنا في تنفيذ الخطة، وبدأت تدخل كل مجموعة في قطيع من القطعان،،

سارت القطعان بأمر أصحابها متباعدة عن بعضها، وراحت تزحف زحفا بطيئا، شرعنا نزحف معها من الساعة العاشرة صباحا إلى الساعة الرابعة مساء، أين استوقف أصحاب القطعان قطعانهم واستوقفنا معها، ولحسن الحظ لم تظهر أية طائرة للعدو في سماء المنطقة، انبطحت النعاج على الأرض وهي تتلهف واستلقينا بالقرب منها على الأرض في حالة إعياء كامل، إن عناء المشي يضني ويهدم قوة البشر والحيوان معا!، إرتحنا قليلا بينما قام مسؤولنا وراح يسأل أصحاب القطعان:.. ماذا حدث يا إخوان؟

- لاشيء.

- لماذا أوقفتم القطعان؟

- لترتاحوا وترتاح القطعان.

- هل اقتربنا من الحدود؟

- نعم،أنتم على وشك رؤيتها.

- كم بقي لنا من كيلومتر تقريبا؟

- بقي لكم حوالي 12 كم على الأكثر.

- كم يلزمنا من الوقت لقطع هذه المسافة؟

ثلاثة ساعات على الأكثر.

- إذن باستطاعتنا اجتياز الحدود هذه الليلة؟

- تستطيعون وبكل سهولة.

- أي ممر نسير معه؟.. بعد الآن؟

- سيروا باتجاه تلك الربوة البيضاء.. ضعوها نصب أعينكم ولاتحيدوا عنها قيد أنملة، فالحدود وراءها.

- طيب.. طيب... والآن ماذا تنوون القيام به؟

- ننوي المبيت هنا،وعندما يتضح النهار نقفل راجعين إلى بيوتنا.

في هذه اللحظات أبصر أحد الرحل إنسانا قادما نحونا،وصرخ فينا قائلا وهو يشير بيده: أُنظروا هناك إنسان يسير باتجاهنا، التفتنا إليه جميعا،ورحنا نرقب خطاه ونتفحص شكله ولبابسه، وإذا به مجاهد يلبس لباسًا عسكريا وفوقه قشابة وبرية.. اقترب منا ووقف، ثم قال: السلام عليكم ياإخوان!

- نطق الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

من أنت؟

- أخوكم مجاهد.. وأنتم؟ نحن إخوانك.. مجاهدون أيضا.. حينذاك تقدم وصافح كلا منا..

- إرتح معنا قليلا؟

استلقى على الأرض وراح يسائلنا: من أية كتيبة أنتم؟ ومن أية ولاية؟ وإلى أية جهة أنتم قاصدون؟

- قاصدون تونس إن شاء الله.

- وأنا كذلك.

- أ أنت ذاهب وحدك؟

- لا. لست وحدي، أنا ذاهب مع مجموعة القائد محمد قندز الذي أرسلني إليكم لمعرفة هويتكم.

- أهو قريب منا ؟

- نعم هو فوق تلك الربوة المقابلة لنا غربا يترقب خطاكم بنظاره. وتيقن من أنكم مجاهدون متجهون نحو الحدود، وأنتم ضالون الطريق.

- لماذا بعثك إلينا إذن؟.

- ليتحقق من هويتكم أكثر. وقد تحققت منها والآن أخبره بحقيقتكم هو في أنتظاري، ثم قام ماشيا بخفة.

- اتعود إليه الآن؟

- لا، إنما سأخبره من فوق الربوة القريبة منكم، وأنطلق يجري حتى بلغ قمتها، ووقف يجمع أنفاسه لعدة لحظات؛ ثم صاح: الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر، راحت كلمة الله أكبر تدوي في سماء المنطقة الهادئة المشحونة بالإيمان والمحبة؛ ثم عاد يجري إلينا. فكلمة الله أكبر ثلاث مرات؛ هي كلمة السر. لفصيلة محمد قندز في هذا اليوم، وبعد عشر دقائق أو أكثر حتى ملأت أعيننا مجموعة من المجاهدين وهي تنحدر من هضبة كنا قد مررنا قربها، وإذا بمبعوثة يصيح فينا: هاهو سي محمد قندز يقبل علينا مع رفقائه؛ ألم أقل لكم صدقوني القول؟ يجب أن تصدقوني؟!. نطق أحدنا وقال له: إنك صادق يا أخي وقد صدقناك منذ الوهلة الأولى، وماهي إلا دقائق حتى وصل قندز إلينا رفقة مجموعته،.. كانت الشمس قد بدأت تنزلق وراء الأفق الذهبي.

استقبلناهم كما يستقبل الأشقاء بعضهم البعض بعد غياب طويل، وذلك بعناق وقبلات نابعة من قلوب طاهرة وكأننا نعرفهم ويعرفوننا من أيام الطفولة الأولى، بعدئذ شرع سي قندز يسائلنا: كيف أحوالكم أيها الاخوان.؟

- كما ترى.. والحمد لله.

- أأنتم تائهون؟

- نعم كنا تائهين قبل وصولنا إلى هؤلاء الرجال الكرام

من أي منطقة انطلقتم؟

- من المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، وبالضبط من جبل عمرونة والونشريس وزكار؛ ياأهلا وسهلا بأبناء الولاية الرابعة !

– كيف أحوال الثورة والمواطنين عندكم؟

– هي على نفس الأحوال بمناطق الأوراس: معارك، تدمير– آلام– تشريد– سجن– قتل أعتقالات، ومع هذا فإن المواطنين بالولاية الرابعة قد ألفوا كل ويلات الحرب هذه، وهان عليهم كل شيء: المال، البنون في سبيل تحرير الوطن، وما وجودنا معكم هاهنا لخير دليل على مايقوم به المواطنون هناك.

وضعية مأسوية

كان الأخ شعباني وأصحابه يتطلعون إلى كل منا من قمة رأسه الى أخمص قدميه والدهشة بادية على محياهم، كانوا ينظرون إلينا نظرة استغراب واندهاش لسوء الوضعية التي وجدونا عليها، وضعيتنا يومئذ تدعو بحق كل إنسان عاقل إلى التأسف والتألم مما كنا عليه، فسراويلنا ممزقة من كل الجهات، مهلهلة، خشنة من الأوحال والأوساخ التي علقت بها منذ عدة أيام، قمصاننا هي الأخرى ممزقة وآسودت أعناقها من كثرة ما علق بها من وسخ وعرق، أحذيتنا بالية ممزقة من الأسفل والأعلى، لف معظمنا حذاءه بخرقة أقتطعها من ذراع معطفه أو منشفته إن وجدت معه، شعر لحينا طويل شعث، حالتنا ومعاناتنا لايمكن أن يتصورها أو يحس بها سوانا،،!؟

قام أحدهم من مكانه وقال: بدون شعور وعيناه تذرف الدموع، أنتم والله ياإخواني لفي حالة يرثى لها ومافي اليد حيلة؟ مراكز تموينتا (1) بعيدة جدا من هنا،ونحن أقرب من الحدود التونسية وسنجتازها الليلة إن شاء الله، فصبرا أ[illegible] الرجال، وتشجعوا،غدا أو بعد غد تتحسن أحوالكم بإذن الله؟ حينئذ قال [illegible] محمد دقنز: الساعة الخامسة وقدأسدل الظلام أستاره، هيا نتوكل على [illegible] ياالخاوة نتحرك نحو الحدود؟– هيا، هيا، بدأنا نزحف في سكون الليل الهادئ [illegible] أن أجتزنا الحدود عند الساعة التاسعة والنصف ليلا بسلام،وبدأنا نمشي [illegible] غير أرضنا، وبعد مضي ساعة من اجتيازنا للحدود، نطق أحد الإخوة [illegible] مترفع قائلا: هانحن قد نجونا من العدو ياالخاوة؟ وعلى الفور ردَّ [illegible] بالقول: قل إن شاء الله ننجو يا أخي؟.. فكثيرا ما تأتي الأيام بما لايعلمه [illegible] ولايريد؟!.

ورد ثالث بقوله: تشجعوا ياالخاوة فلا يأس مع الحياة، وثقوا أننا سننتصر على عدونا ونرى الجزائر حرة مستقلة عن قريب إن شاء الله.

سرنا في التراب التونسي الشقيق المؤيد لقضيتنا ، على هذه الأحلام والأمنيات الجميلة حتى مطلع الشمس، وقتئذ توقفنا لوقت قصير لنرد انفاسنا بعض الشيء، استلقينا على الأرض استلقاء المتهالك المنهار، وشرع كل منا يستكشف ما ألمّ برجليه من جروح وكدمات، ومن أشواك منغرزة في أديم قدميه، لأن أكثرنا بات يمشي حافي القدمين أو أحدهما على الأقل، في هذه الأونة خيم صمت عميق وسكون مُريح للجميع، بدأ كل منا يتأمل كل المواقف المحرجة التي مربها ، بدءا من بداية الرحلة إلى هذه اللحظات، ثم يتأمل الموقف الجديد وفي أرض جديدة علية، متسائلا، محاورا نفسه: من أنا ؟ أين أنا ؟ أين أرضي؟ أين أهلي؟ قريتي؟ أحبتي؟ ثم أين الهدف الذي جئت من أجله؟ أين.. وإين..؟؟

كانت هذه التأملات والتساؤلات تتردد في أذهاننا جميعا: أية وجهة نتجه بعد الآن؟ من سيستقبلنا ؟ من الذي سيشد أزرنا ويخلصنا من معاناتنا هذه؟ أم سنبقى نعاني ماعانيناه مدة أكثر من شهر؟ لانعلم... لاندري بماذا سيكون عليه حالنا ؟؟؟ فالله وحدهَ سبحانه وتعالى أعلم وأدرى بما سنلاقيه بعد الآن؟!

مضى علينا وقت غير قليل، غلب النعاس بعضنا ونام، في حين كان سي أحمد مستاس وسي محمد قندز يقومان بعملية إستطلاعية من أعلى هضبة قريبة منا ، ثم عادا إلينا مسريعين وأحدهما يقول: يا الخاوة؟ لقد أرتحتم بما فيه الكفاية، وليكن في علمكم أن عدونا لايبعد عنا إلا بمسافة عشرة كيلومتر أو أقل، وبالرغم من أننا هنا في أرض تونسية مستقلة حديثا ؛ فإنه قد يقنبلنا بطائراته، لأن الأرض التونسية القريبة من حدودنا هي الأخرى لازالت تحت سيطرة العدو ومراقبته، فهي أيضا منطقة محرمة على المواطنين الجزائريين والتونسيين معا ، فما بالكم نحن المجاهدين؟ لذا يجب علينا أن نرحل منها الآن، إذ ربما تصل يد البرابرة الفرنسيين إلينا ونتعرض للخطر لو نبقى حيث نحن، علينا أن نبرح هذه المنطقة لنتجنب كل خطر محتمل، هيا ، هيا بسرعة ياالخاوة؟ ولحظتئذ سارا وسرنا وراء هما إلى أن اتينا مركز جيش التحرير الوطني بمركز (ملاق)

في مركز ملاق

وصلنا إليه في حدود الساعة التاسعة صباحا، مقر مركز جيش التحرير الوطني هذا هو عبارة عن سكن واسع، هو ملك لعائلة جزائرية لقبها (التومي) وجدنا به أكثر من 25 إمرأة تحضرن الأكل لفصائل جيش التحرير الوطني الداخلة إلى تونس أو العائدة إلى الجزائر، يقتصر دور مركز (ملاق) كما علمنا ولمسنا عن إطعام الجزائريين القادمين من والى الجزائر.

وإثر وصولنا مباشرة الى هذا المركز أخبرنا مسؤوله: بأن 70 شابا قد مروا من هنا منذ ثلاثة أيام بعد أن اجتازوا الحدود بسلام آمنين، لحظتئذ غمرتنا فرحة عارمة وهتفنا دفعة واحدة بصوت مرتفع: حمدا الك يارب؟ لقد وصل إخواننا سالمين، وأنهم أحياء يرزقون، وعما قريب سنراهم وسيروننا، فمنذ 47 يوما لم نراهم وذلك ساعة تقسيمنا إلى مجموعتين بناحية أولاد بوعشرة قرب مدينة البراقية، منذ ودعونا وودعناهم، ووقتئذ نطق أحدنا وقال: هانحن قد جمع الله شملنا ياللخاوة؟ رحمتك يارب؟؟؟ والآن أترك ذكريات أبطال الفصيلة الثانية لترتاح بمركز (ملاق) لأعود إليها ثانية، بعد أن أستمتع وتستمتعوا معي بذكريات أبطال الفصيلة الأولى..

ذكريات الفصيلة الأولى

يروي ذكرياتها أحد أبطالها ومسؤوليها، السيد/ ظريف الجيلالي الذي لايزال على قيد الحياة بخميس مليانة، شرع يتذكر أحداث وتفاصيل مسيرة الفصيلة الأولى لحظة بلحظة وكأنه يحياها الآن، ويستمتع بمسراتها، يتذكر ويتألم بمضراتها حين يقول: تكونت فصيلتنا من 70 شابا من عدة كتائب كانت متمركزة بناحية

أولاد بوعشرة، المنطقة الثانية من الولاية الرابعة، أشرف على تكوينها السادة: أحمد بوقارة، وسي لخضر وسي عبد العزيز، كان سن أفرادها يتراوح مابين 18-19 الى 20 سنة، معظمها طلاب بالكتاتيب القرآنية أو الثانويات، غادروا المقاعد الدراسية والتحقوا بجيش التحرير الوطني بالمنطقة، لباسنا خليط من اللباس العسكري والمدني، قلة قليلة منه تحمل بنادق صيد ومسدسات قديمة، زودنا سي عز الدين بمعلومات مهمة حول ظروف البيئة الطبيعية والإجتماعية بالجهة الشرقية من الوطن والتي سنمر بها، وحدد لنامسار رحلتنا هذه، ثم كلف أحد المجاهدين بقيادة الفصيلة، وسلمه قائمة بأسمائنا،ورخصة مرور إلى التراب التونسي، كان أكبرنا سنا وأغنانا تجربة عسكرية هو الأخ المجاهد (سي قويدر)، وكلفني أنا ظريف الجيلالي بالإشراف على فوج من أفواج الفصيلة، وبعد هذه الإجراءات اذن لنا بالإنطلاق.

سرنا... إلى أن التحقنا بعشرة ضباط من الولاية الرابعة كانوا متوجهين الى تونس ليكونوا أول الممثلين للولاية الرابعة في الخارج،وليشرفوا على تدريب كتائب هذه الولاية والعودة بها إلى نفس الولاية مع ممثلي قيادات الولايات: الأولى والثانية والثالثة والسادسة.

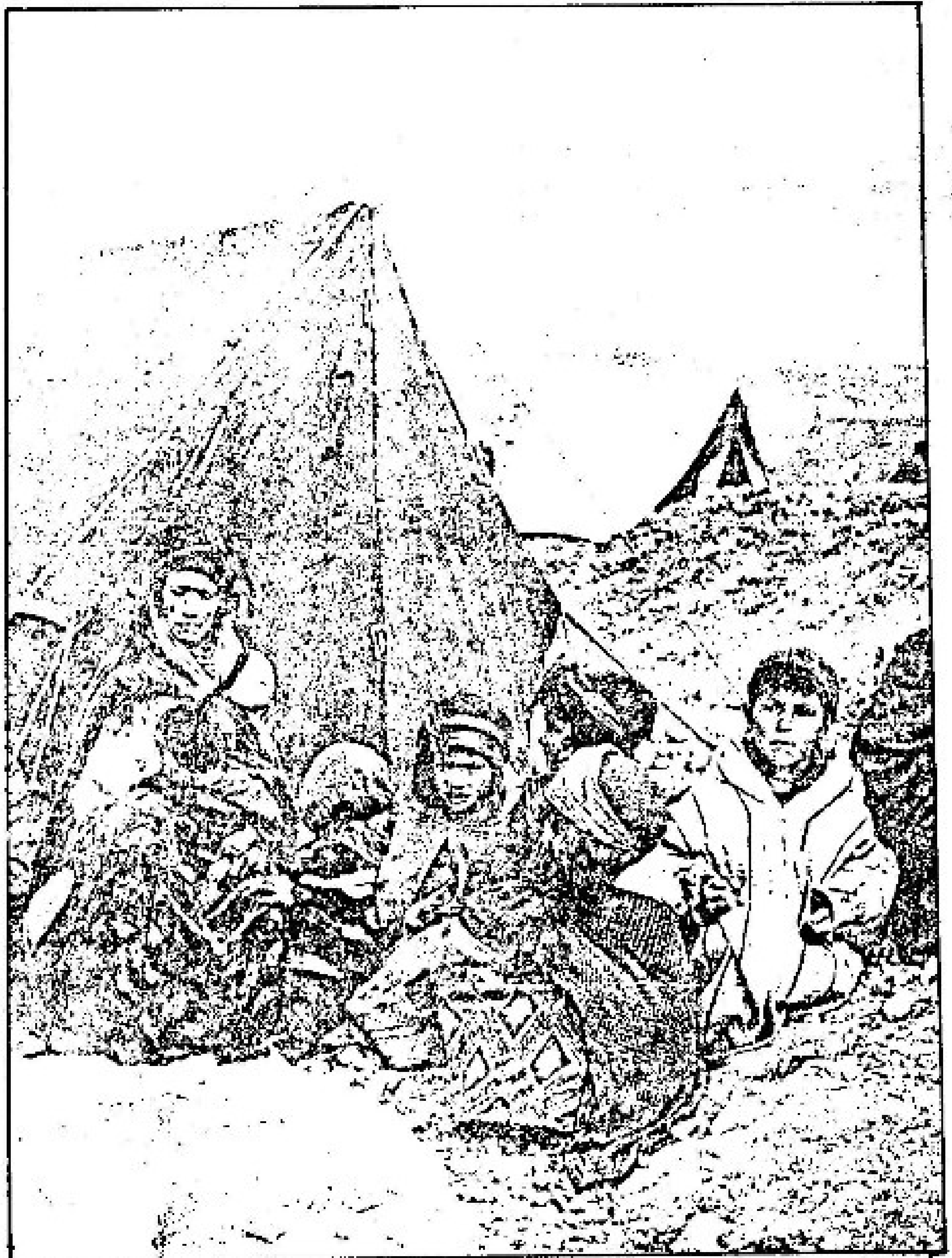
من ضمن هؤلاء الضباط السادة: فلاح- رمضان- مصطفى- الطيب الجغلالي- البشير-بطاطا- الحاج بوفاريك... الخ). عشنا متاعب كثيرة لاتحصى نجونا من أخطار عديدة وخاصة قرب الحدود- سبعة عشر يوما ونحن نحاول كل ليلة اجتياز الحدود عبر جبل بوخضرة وتبوءمحاولاتنا بالفشل.

بين اليأس والأمل

في هذه الأيام بالذات دب اليأس في نفوسنا،وفقد الكثير منا شجاعته وصبره لكثرة المصاعب والمخاطر الجمة التي واجهناها بهذه الناحية (ناحية الوانزة)، حيث طال تنقلنا مع المرتفعات والمنحدرات والأدغال،لنختفي نهارا عن العدو والجواسيس، ونتيجتئذ لازمنا الخوف من مداهمات العدو الدساس، وسكن في أجسامنا البرد القارس، (برد شهر نوفمبر 1957، سئمنا التنقل في ظلام الليل

الدامس، وأكل الخبز اليابس، طالت بنا الرحلة، وأخذ مابقي من حياتنا يقلقنا، وأصبحنا نود أن تنتهي من مهمتنا ومن أنفسنا بأسرع مايمكن، إذ لا معنى لنا إذامتنا برصاص العدو أو بدونه إلا إذا اتممنا الرحلة،وعدنا مدججين بأسلحة أقوى بكثير من أسلحة عدونا، ويومئذ نكون قد حققنا أمنيتنا وأمنية إخواننا المجاهدين الذين هم على أحر من الجمر في أنتظار عودتنا إليهم سالمين غانمين، وبعد هذا ننتقم سويا لشعبنا ولشهدائنا من العدو الطاغي، وإذا استشهدنا بعد أن نشفي غلتنا منه، وندفن تحت أديم أرضنا الطاهرة، تكون رحلتنا ناجحة، وقد أدينا واجبنا الديني والوطني كاملا غير منقوص من أجل تحرير وطننا المسلوب، ورفع الغبن على شعبنا الأبي المقهور، ومن يدري؟ قد تنتهي [الحرب الضروس في يوم من أيام] رحلتنا هذه وتكلل بالنجاح وننتقم من العدو شر انتقام، وتنتهي الحرب الضروس في يوم الأيام،ويصبح الشعب الجزائري سيد نفسه ووطنه، ويكتب الله لنا الحياة لنحيا مع شعبنا وعلى أرضنا احرارا مكرمين،ونروي قصة رحلتنا المثيرة هذه للأجيال الصاعدة، قصة استرجاع حريتنا وكرامتنا، والتي يجب أن تدون بحروف من ذهب، وأن يعيها ويعتز بها جيل مابعد الاستقلال، وإلا هان معنى الاشتشهاد، وتضحية مئات الآلاف من المجاهدين الأبرار، وصار نسيا منسيا في ذاكرة الأجيال المتعاقبة، إن قصص التضحية والفداء من أجل رد اعتبار كيان الشعب الجزائري وصيانة كرامته، لهي أعز وأغلى ماتتناقلها الأجيال للأجيال، لأنها ذاكرتهم وسجل تاريخهم المجيد.

كانت هذه الأفكار والتصورات سر قوتنا وتجلدنا وصبرنا على مجابهة وتحدي المخاطر المحدقة بنا إلى أن جاءت ليلة اليوم الثامن عشر، وهي الأيام التي قضيناها بالمنطقة الحدودية. تمكنا في هذه ألليله من اجتياز الحدو بصعوبة بالغة الخطورة، ونحن في حالة أقل مايقال عنا من حيث اللباس،أننا من بني عريان، أو من بني الإنسان الأول، سرنا في التراب التونسي إلى أن بلغنا مسكنا لعائلة جزائرية قاطنة منذ أمد بعيد، استقبلنا أفرادها بصدر رحب وبسرعة أشفوا غليلنا من الجوع، ساعتئذ نطق الأخ السعيد حمام الوان قائلا: أتعرفون ياالخاوة كم يوما قضيناه مشيا منذ انطلاقنا الى حد الساعة؟؟ غرق الجميع في التفكير لإيجاد الإجابة الصحيحة ردحا من الزمن، لحظتئذ نطق أحد الإخوة قائلا: مشينا شهرين بالتقريب،ويصعب علينا تحديد عدد الأيام والساعات، حينئذ أجاب السعيد حمام ألوان على سؤاله بقوله: مشينا باالخاوة منذ انطلاقنا إلى اليوم 47 يوما و15



ابناء الشعب الجزائري ونساؤه وقد اضطرتهم وحشية القوات الاستعمارية الفرنسية الى مغادرة مساكنهم وقراهم واللجوء الى الخيام في الدول الشقيقة .

عن وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية

ساعة بالضبط، مكثنا عند هذه العائلة يومين، وفي اليوم الثالث توجه الأخوان (سي قويدر ونائبة إلى مدينة الكاف التونسية لاخبار القيادة العسكرية للثورة، وأثناء الطريق إلى المدينة المذكورة ألقي عليهما القبض من طرف الدرك التونسي، وفي نفس اليوم أصبح مركزنا محاصرا من قبل رجال الأمن التونسي، وأمرونا بتسليم أنفسنا وأسلحتنا، على أساس أننا أجانب عن الوطن، والقانون يمنع أي أجنبي بحمل السلاح في بلد غير بلده، في تلك اللحظات الحرجة خرج إليهم أطولنا قامة وأقبحنا منظرا، ولكنه أكثرنا شجاعة وإقداما، ثم وقف وقفة المعتد بنفسة وقال في غضب: نحن حركة من جيش فرانسا، أمرتنا قيادتنا بالمجيء إلى هنا، إبتعدوا عنا وإلا سيقع لكم مالا يحمد عقباه، وعند سماعهم كلمة (حركة فرانسا) اهتزت فرائصهم ولاذوا بالقرار، حينئذ تعالت ضحكاتنا وقلنا ياسبحان الله؟! إنهم يخافون من فرنسا حتى وهم أحرار في بلدهم، إنه أمر يدعو بحق إلى الدهشة والغرابة!؟

تجاوب القيادة العسكرية

إثر وصول خبرنا بطريقة أو بأخري إلى مقر القيادة العسكرية بالكاف قدم إلينا الأخ الضابط سي صالح صحبة الطبيب سي محمد على متن «لوند روفر»، وبعد أن قام بتفقدنا وفحصنا حملا معهما أربعة منا كانوا مرضى لايستطيعون السير لمسافة بعيدة، وأمرا الأصحاء منا بالتنقل إلى مركز جيش التحرير المدعو (عين عمارة)، وحددا لنا الطريق الموصل إليه بدقة، وعند غروب الشمس غادرنا مكاننا، بتنا نمشي طوال الليل بلا توقف، تمكنا من الوصول إلى المركز المذكور أعلاه مع مطلع الفجر، قضينا يوما كاملا بهذ المركز، قدمت لنا الإسعافات الأولية من فحص وتضميد للجروح ومعالجة المصابين منا بالزكام والحمى.

وفي مساء ذلك اليوم انتقلنا من مركز (عين عمارة) إلى مركز (برج المقراني) أين كانت قيادة جيش التحرير الوطني بالخارج تنتظر وصولنا، كان من ضمنها الرائد الصوفي المشرف على مركز (تالة)، إرتحنا به ثلاثة أيام، بعدها نقلتنا القيادة إلى قرية (تالة) على متن شاحنات مدينة، مكثنا بها بضعة أيام، ففي تالة أزلنا من على أجسامنا وسخ وعرق شهرين تقريبا، وأخرجنا من عظامنا البرد

الدفين فيها بفضل ماء حمامها الساخن، يومها تخلصنا من الأسمال البالية الممزقة بلبسنا ملابس عسكرية جديدة ونظيفة، ففي تالة استرجعنا قوتنا ونشاطنا وذلك بفضل رعاية وعناية الرائد الصوفي ومساعديه، بعد هذا انتقلنا إلى مركز (الربيبة) أين التقينا للمرة الثانية بممثلي قيادة الولاية الرابعة وهم الإخوة: فلاح، وبطإطا، ومصطفى، وسي البشير، وسي عمر أو عمران صحبة المشرفين العامين على التدريب العسكري وهم الإخوة: العقيد زرقيني وعبد الله بو رب، واسمه الحقيقي عبد الله صالحي، وعلي شكري وخميستي محمد، وكثير غيرهم، إثر وصولنا وجدنا عدة فصائل من الولايات التالية: الولاية السادسة والثانية والأولى والثالثة والرابعة، وبدأت كلها التداريب قبلنا بأيام، يومئذ قامت القيادة بتسجيلنا وتوزيعنا إلى أفواج، ثم وزعت علينا الأسلحة وبرنامج التدريب.

وهنا أترك الراوي (ظريف الجيلاني مع ذكريات الفصيلة الأولى بمركز (الربيبة) لأعود إليهما فيما بعد، منتقلا بكم إلى ذكريات الفصيلة الثانية التي تركناها بمركز (ملاق) مع رابح بلعباس، والحاج ظريف، وبوزيان الطيب، وحمزة علي، وعزيزو عبد القادر، والونشريسي، وبن بوعلي عبد القادر، والمخفي، الذين كانوا ضمنها ولا زالوا على قيد الحياة يتذكرون كل شيء عنها الى حين تدوين هذه القصة بقولهم:

قضينا بمركز (ملاق) يومين كاملين، قضينا معظم الوقت في نوم عميق، استعدنا من خلاله بعض قوتنا ونشاطنا، بوزيان الطيب ازداد مرضه وساءت حالته إلى حد الأغماء عليه، وفي صباح اليوم الثالث جاءتنا مجموعة من ضباط جيش التحرير صحبة الطبيب (سي محمد) بشاحنات مدنية مغطاة، وعلى الفور وزعونا عليها، واقفلوا غطاءها علينا، اتجهت بعض الشاحنات إلى مدينة تيجروين وبعضها الى مدينة الكاف، أما المرضى منا مثل بوزيان الطيب و غيره فحملهم الطبيب سي محمد على متن (لوندروفر) واتجه بهم إلى مستشفى (قفصة)، وذلك لتدهور صحتهم بشكل مخيف.

وصلنا إلى مركز الكاف في حدود الساعة السابعة صباحا، وعلى الفور أجريت علينا فحوص طبية من طرف طبيبين، بعد هذا أخذونا إلى حمام بعد أن وزعوا علينا لوازم الاستحمام كالصابون والمنشفات، وسلموا لكل منا لباسا عسكريا جديدا، وعندما دخلنا ذلك الحمام وشرعنا نخلع ثيابنا الرثة، وجدنا طبقة سميكة من الوسخ تغطي أجسامنا، طبقة تراكمت على أجسادنا مدة شهرين تقريبا، ولما ابتلت بالماء الساخن، وسخنت أفئدتنا وأوصالنا بدات تنزل من على أجسامنا قشور

مختلفة الأحجام والألوان، فالماء ينزل على أجسامنا نقيا ثم يصل إلى الأرض أسود ، هذه قشور وكريات الوسخ تهبط من على ظهورنا وصدورنا ، سقط بعضنا مغشيا عليه من الحرارة، حممنا جيدا إلى أن صارت أجسامنا نقية نضرة، ساعتها أحسسنا وكأننا خرجنا للحياة من جديد، وإثر خروجنا من الحمام أدخلونا إلى سكن واسع وأمرونا بالنوم على الفور، نمنا يومها نوما عميقا إلى أن أيقظونا في حدود الساعة الواحدة والنصف زوالا، وقتها قمنا وتوضأنا وأدينا صلاة الظهر جماعة، بعدها تناولنا غداءنا ونحن في أحسن مايمكن أن يكون، ارتحنا عدة أيام في راحة تامة ثم نقلتنا القيادة إلى مركز (الربيبة) أين كانت المفاجأة السارة تنتظرنا؛ المفاجأة هذه تتمثل في أفراد الفصيلة الأولي الذين أشتد شغفنا لرؤياهم والعيش معهم .

تأملات وأمنيات الإخوة الغرباء

في مركز الربيبة وجدنا أفراد الفصيلة الأولى والثانية الأصحاء منهم والمرضى، جمع الله شلمنا كما جمعه يوم انطلقت مسيرتنا بناحية أولاد بوعشرة بالمنطقة الثانية من الولاية الرابعة ونحن نعانق بعضنا البعض وكأننا مع إخوتنا في الجزائر، في هذا اللقاء التاريخي أحسسنا وكأننا استرجعنا من مات وإستشهد من إخواننا وأهلنا في أعراش وقرى المنطقة الثالثة والثانية والأولى للولاية الرابعة، كما أنسانا كل الآلام والظروف القاسية التي عشناها على امتداد المسافة الرابطة بين جبال الونشريس ومركز (الربيبة) بتونس؛ أين نحن هذا اليوم مع عشرات المبآت من الجزائريين الغرباء عن وطنهم وديارهم، والعائدون بإذن الله في يوم من الأيام إلى أرضهم وأيديهم حديد صلب يضربون به من ملك أرضهم ودمر ديارهم وقتل إخوانهم ونهب خيراتهم، كان حديث الإخوة الغرباء يدور كله حول الأسلحة الجديدة والتدريبات العسكرية القوية والخطط الحربية الحديثة.

ومن خلال أحاديث هؤلاء الإخوة كانت تتجسم في خيالنا خريطة الولاية الرابعة الثالثة والسادسة والأولى التي قطعناها سيرا على أقدامنا الحافية ونحن عزل من السلاح، وخاصة المنطقة الثالثة التى استشهد فوق أرضها معظم إخوتنا وأصحابنا من عرش أولاد الشيخ والحراسنية وجليدة واهراوات وبطحية وبربارة، ومن قرانا التي غادرناها منذ شهرين ومايزيد، وأحيانا لم تعد ببالنا هذه القرى

بل وحتى إخواننا وأهلنا هناك،إنما كل ماكان يشغل بالنا هو السلاح لاغيره، ولكن كل السلاح: رشاشات - مدافع - قنابل- قنابل النابالم والعودة به الى الجزائر لنقتل من قتل أهلنا ودمر بيوتنا وشردنا شر تشريد، فنقتل عدونا بالبندقية إن كان قريبا منا، ونقذفه بقذائف البازوكا حينما يواجهنا بدباباته، وندك مضاجعه بالمدافع إذا واجهنا بنيرانه من تحت الخنادق.

وفي حالة ما إذا التحمنا معه وجها لوجه فننحره بخناجرنا،كان هذا تفكيرنا وتصميمنا نحن المجاهدين، ومهما حملنا من الأسلحة والقنابل نحتاج دائما إلى كل أنواع الأسلحة المختلفة المهام والمسافات، كان حلمنا الغالي الذي نحلم به جميعا هو أن نتزود بكل هذه الأسلحة ونعود بها إلى وطننا،إلى قرانا لنبيد من أهاننا وملك أرضنا عنوة وعدوانا، وبذلك نكون قد استرددنا شرفنا وشرف أهلنا وسيادة وطننا.

برنامج التدريب العسكري

المهم من كل ماسبق ذكره هو أننا بدأنا التريب على الأسلحة المتطورة التي قطعنا من أجلها مئات الكيلومترات، كان برنامج وتوقيت تدريبنا على النحو التالي:

الفترة الصباحية:

1) رياضة بدنية قبل بزوغ الشمس،ثم العودة إلى المركز مع مطلع الشمس.

2) فطور الصباح

3) تدريب على تفكيك وتركيب الأسلحة وعلى كيفية استعمالها بدون طاقات.

4) تدريب على الرماية بالذخيرة،فالعودة الى المركز مع الزوال.

5) تناول الغذاء فالاستراحة.

الفترة المسائية:

1) التدريب على السير العسكري المنظم.

2) التدريب على القفز والزحف والانبطاع المفاجئ.

3) التدريب على كيفية رمي القنابل اليدوية.

4) التدريب على المواجهة والتصدي للدبابات.

5) التدريب على كيفية السير والتخفي من الطائرات المقاتلة والتصدي لها.

الفترة الليلية:

1) تناول العشاء.

2) دراسة ومناقشة كيفية وضع خطة لكمين أو معركة.

3) دراسة وتحليل ما أستجد على الساحة السياسية للثورة.

4) محاضرات وارشادات ونصائح.

5) الاستماع الى صوت الجزائر الثورة على الساعة 10.15 ليلا

6) النوم.

حين بدأنا نتدرب على الأسلحة،أحسسنا وكأننا ولدنا من جديد، أقدمنا عليه بحماس فياض، وضع المدربون أمامنا عدداً كبيرا من الأسلحة الصغيرة لم نكن نعرفها من قبل، ولانعرف حتى أسماءها،ناهيك عن مكوناتها وكيفية الرمي بها. إنك لاتحس بإحساس المجاهد الجزائري وهو يستلم أسلحة أو توماتيكية جديدة، إنه يحس ويشعر حين يستلمها وكأنه يحتضن ويعانق أخا أو صديقا حميما له، أحسستا كلنا عندما وزع علينا المدربون هذه الأسلحة التي كانت تهفو قلوبنا إلى حملها، وامتلاكها، كانت الأسلحة الأوتوماتيكية بالنسبة لنا عماد حياتنا وعنوان بطشنا وبقائنا على أرضنا، بل صارت مصيرنا وقوتنا، ولاقوة لنا ولامصير بدونها.

شرعنا في التدريب على الأسلحة في مناطق بعيدة عن المركز،تتغير من يوم لآخر حسب متطلبات نوع التدريب وطبيعة الأرض المخصصة لها. وكان تدريبنا يجري في السهول وفي الجبال وفي الهضاب وفي الصحراء وفي مناطق أخرى،، المهم أن كل منطقة تدربنا فيها كانت صورة مماثلة لمنطقة مماثلة لها في الوطن الجزائري حتى نواجه العدو في أي طبيعة أرض من أرضينا حين نعود إلى أرض المعركة.

استمر تدريبنا المكثف مدة شهر من ديسمبر الى جانفي.. لقد وصل بنا التدريب إلى حد لم نكن نحلم به،ولم يخطر على بال أي منا، تعلمنا منه أن الحرب علوم وليس علما واحدا، كما تأكدنا من أن أية معركة ناجحة مع العدو لابد أن تسبقها دراسة علمية دقيقة وتخطيط محكم،وإلا كان مآلها الفشل. لم نكن في مدة الفترة القصيرة نتدرب مجرد تدريب، بل كنا نتدرب على مختلف الأسلحة،ونجري التجارب بها،، كنا نفترض أن العدو رابض في خنادقه،أو في مراكزه وثكناته، وفي كل إحتمالات وجوده، ونضع خطة للهجوم عليه، ثم نتفقد مادرسناه وخططناه وفقا للمعلومات التي جمعناها من مخابراتنا عن مراكز العدو وتحركاته، بسرعة فائقة كنا نستوعب أي أسلحة واختصاصها حين توضع بين أيدينا، بل ونجيد الرمي بها، ولعل أهم الدوافع التي كانت تدفعنا إلى استيعاب كل مايقدم لنا من الأسلحة هي تلك المناظر البشعة التي شاهدناها بقرانا: موت- تدمير- تعذيب- حرق- هذه المناظر خلقت منا بشرا ذكيا سريع الفهم والتكيف مع كل جديد،،

بقينا ننتظر بفارغ الصبر أمر عودتنا إلى أرضنا، الى قرانا، لنصب جام غضبنا على الذين قتلوا وشوهوا إخوتنا،لنزيل من أذهاننا تلك الصور البعشة التي ظلت تقلق حياتنا في كل حين أو يكون مصيرنا مثل مصير شهدائنا، إن ولايتنا الرابعة وقرانا لم يعد إسمها وحده في أذهاننا،كقرية الخواسنية،وأولاد الشيخ،وجليدة وهراوات وبني غمريان،وقرى جبل زكارة،والونشريس، وأصبح اسمها إسما آخر في أذهاننا،هو أعم وأشمل، هو الجزائر قاطبة،، إن قريتنا وولايتنا أصبحتا أي مكان من الجزائر نقاتل و نقتل فيه،،

مرت علينا أيام شهرين ثقيلة وشاقة بتونس.. كانت نفوسنا تتوق بحماس الى أول نقطة انطلقنا منها، لننتقم لأنفسنا ولشعبنا،، كانت هذه أحلامنا وكل أمانينا ونحن مرابطون في مركز (الربيبة) بتونس،ولم يقتصر جهد قيادة الثورة الجزائرية على تكوين المقاتلين وتسليحهم بالأسلحة المتطورة،بل أهتمت كذلك بتكوين إعداد كبيرة من الشباب تكوينا ثقافيا وعلميا لمحاربة (الثالوث) حين تستقل الجزائر في يوم من الأيام.

الإعداد لمحاربة الثالوث

في الوقت الذي كنا نتدرب فيه على السلاح،كان زملاؤنا المتعلمون الذين اختارتهم قيادة الثورة لمهمة مماثلة لاتقل أهمية من المهام المناطة بنا، بمركز (الربيبة)،بل تفوقها في الأمد القريب والبعيد، وستصبح أهم المهام حين تستقل الجزائر مباشرة،إذ بها تدور عجلات الرقي الإجتماعي والحضاري،وبدونها لاتتحرك هذه العجلات.

كان هذا الفريق هو الآخر يكابد صعوبات جمة في تحصيل العلم والمعرفة،وفي الوقت نفسه كان يجهد نفسه ليل نهار لكسب المعرفة واختصاصاتها العديدة، بمدرسة الثورة الجزائرية بمركز (أسانطاريا) بضواحي تونس العاصمة مدة سنتين تحت إشراف السيد (الوناس) الذي لايزال حيا يرزق بمدينة تيزي وزو، وهذه أسماء بعض الذين تتلمذوا بهذه المدرسة ولايزالون على قيد الحياة الى حين كتابة هذه المذكرة وهم السادة: بوارث أحمد : مدير المعهد ت.ت بالمدية حاليا.

- **طريف أحمد:** مدير مدرسة بخميس مليانة حاليا.
- **كرميش السعيد:** مدير مدرسة اساسية بولاية المسيلة حاليا.
- **طرادي محمد:** أستاذ ثانوي ببرقي حاليا.
- **مهدي الهجرسي:** مستشار لدى مجلس القضاء بولاية المسيلة حاليا.
- **موسى النوي:** مسؤول النشر بالمؤسسة الوطنية للنشر والكتاب حاليا.
- الحشايشي البغدادي: عقيد متقاعد بخميس مليانة حاليا.
- **محمد شريف خروبي:** وزير التربية ثم وزير العدل سابقا وسفير الجزائر بالأردن حاليا.. والسيد/ بحياوي عبد القادر مفتش العلوم الإجتماعية بالجزائر حاليا.
- **بن سيدي عيسى المختار:** مدير ثانوية بالحراش حاليا.
- **هني عشيط:** مفتش عام متقاعد بشلف حاليا.
- إدريس : مفتش التربية والتكوين بسطيف حاليا.

- **مزغنة**: مدير التربية بولاية عنابة حاليا.

- **لبطاري إسماعيل**: مفتش التربية والتكوين بوهران حاليا.

- **لسول عبد القادر**: رئيس غرفة بالمحكمة العليا حاليا.

- وهناك العديد ممن أشرفت الثورة على تكوينهم بالخارج وتحصل الكثير منهم على أعلى الشهادات في مختلف الإختصاصات، وهم اليوم يساهمون مساهمة فعالة في تسيير دواليب مختلف القطاعات الوطنية. كان يتفقد هؤلاء بالمدرسة المذكورة أعلاه السادة: عمر أو عمران ومحمدي السعيد وكثير غيرهما من المسؤولين لايسع المجال لذكرهم جميعا.. وفي سنة 59 وسنة 1960 وزعت عليهم الحكومة المؤقتة جوازات السفر الجزائرية وأرسلتهم على شكل بعثات إلى الدول الشقيقة؛ كمصر، وسوريا، والكويت، والعراق، وإلى الدول الصديقة، كروسيا وبوغسلافيا من أجل مواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي كل حسب تخصصه واهتمامه.. كان هؤلاء يعلمون المستحيل للحصول على أعلى تقدير دراسي في هذه الدول، ليكونوا في مستوى الثقة التي وضعتها فيهم قيادة الثورة، وليكونوا في مستوى العمل الذي يقوم به إخوانهم في ربوع الجزائر وسط ساحة المعركة من تضحيات جسام..

نفوس تواقة ورؤوس مشرئبة

إن أي إنسان غيرنا لايدري كيف كنا نحس ونحن واقفون على تل أو هضبة خلف سياج الغدر والإبادة الذي وضعه عدونا ورؤوسنا مشرئبة متحفزة إلى مسقطها، كنا نحس وكأننا نسمع سقوط مئات القنابل على قرانا وهي تنفجر متتالية وتنفجر معها بيوت أهلنا وتشتعل نارا، وصراخ أهلنا يتعالى من تحت الأنقاض في وسط النيران والإنفجارات،وبكاء الأطفال والأمهات يملأ صدورنا،، الكلّ يبكي ويصرخ طالبا النجدة والاستغاثة بنا على جناح السرعة، حينها نود أن نطير إليهم ونحميهم لو كانت لنا أجنحة ننطلق بها من تونس لننزل على رؤوس الذين يقتلونهم كالصواعق والشهب، فنقطع دابرهم منتقمين لهم ولأنفسنا معا..



هذه إحدى وسائل التدمير الشامل للقرى والمداشر الجزائرية

أخذت الصورتان من منشورات قسم الإعلام والثقافة.



هذا نموذج من نماذج التدمير الكامل لمنازل المواطنين الجزائرية

إيه... العين بصيرة واليد قصيرة كما يقال،، كانت هذه أحاسيسنا ونوازعنا خارج تراب الوطن الحبيب،، صارت كل أحاديثنا وقراءاتنا عن المعارك والأسلحة، كنا نجتمع كل مساء لنستحضر حوادث التدرايب اليومية،أوالإستماع لأحدنا وهو يحكي تفاصيل معركة شاهدها في الجزائر أو قرأها في كتاب.

قضينا شهراً ومايزيد ونحن نعيش على هذا النمط من الحياة العسكرية قولا وعملا، والإنتقام يغامر أنفسنا، وثقل الملل والانتظار واليأس يجثم على صدورنا يوما بعد يوم،، كنا نقاوم ما ألمّ ويلم بأنفسنا من تلك المشاهد المروعة التي عشناها بكل كياننا ووجداننا يوم سقط إخوتنا وأحبتنا صرعى برصاص العدو بجانبنا في جبال وسفوح عمرونة، وجبل اللوح، مشاهد بقيت تسبح في مخيلتنا وتشدها فتنسينا كل الصعاب: التعب، الحرمان، البرد، المرض، الالآم، الأوجاع، وكل شيء وفي مقابل ذلك كانت تحرضنا على التدريب الجيد وتشحذ هممّنا على التصويب المحكم نحو الهدف المقصود،بلا ذعر، بلافزع، بلا تحرك واهتزاز حين نعود إلى الوطن الجريح وتواجه قوى الظلم والطغيان.

تلك هي أعمالنا وأفكارنا البارزة، ونحن وراء الحدود، وتلك أعمال إخواننا في الميدان العلمي والمعرفي،لكنها تنتهي كلها عند هدف واحد،هو محاربة العدو الجاثم على أرضنا وإجباره على الرحيل إلى ماوراء البحر... يومذاك يعلن شعبنا حربا عشواء، وبلا هوادة على الثالوث. الجهل، الفقر، المرض المتفشي في شعبنا الجلد الصبور.

أنهينا التدريب العسكري في العشرية الأولى من شهر جانفي 1958، وبدأنا نعد العدة للرحيل الى من ينتظرنا بشوق شديد، إلى من يرجو منا النجدة والإستغاثة: أهلنا، إخوتنا، مستقبلنا، شرفنا، آلاف أوراح شهدائنا، تستغيث بنا.

في يومي 8/9/ من شهر جانفي 1958 تجمعت كل الفصائل والأفواج بمركز (الربيبة) حيث وزعت علينا الأسلحة الجديدة (موزير ألمان) من صنع ألماني إستخرجوها لأول مرة من صناديق كبيرة الحجم،وزودوا كلامنا بحزام مملوء بذخيرتها، وحربة البندقية أوسكينها، وفي يوم 1958/01/10/ جاءنا العقيد الأول للولاية الرابعة السيد عمر أو عمران صحبة الإخوة سي الصادق وفلاح [illegible] محمد، يومها ألقى علينا خطابا



دعانا فيه إلى الحزم والإقدام والإندفاع نحو النصر، وبعد أن أنهى خطبة كوّن مباشرة فيلقا يتكون من ثلاث كتائب،: الكتيبة الأولى: هي كتيبة الولاية الرابعة التي كنا من ضمن أفرادها، وكلف ضابطا صحبة [illegible] بقيادتها إلى داخل الوطن، والكتبة الثانية: هي كتيبة الولاية الثالثة عين مصطفى قائدا لها، أما الكتيبة الولاية الثانية والأولى فعين [illegible] لها، وبعد تكوين الكتائب وتعيين قادتها زودت كل كتيبة: بـ17 مدفعا رشاشا من نوع (أ. م.ج) عيار 34 و42، وهي من صنع الماني أيضا، ومدفعين رشاشين من نوع (أبران) من صنع انجليزي، وأخيرا طلب منا تجربة كل الأسلحة للتأكد من سلامتها وفعاليتها ساعتئذ جرب كل منا أسلحته فكانت سليمة وجيدة للغاية لكونها تستخدم لأول مرة.

العودة المنشودة

في صباح يوم 11/ 01/ 1958 بمركز الريبية بتونس أعطيت الأوامر لكتيبتنا بإعداد العدة، والتهيؤ للعودة إلى الوطن، إثر تلقينا الخبر.. شرعنا منذ الصباح نعد سلاحنا وأمتعتنا تحت إشراف ضباط الولاية الرابعة، سي فلاح والبشير والصادق الى غاية المساء، وعند الساعة الرابعة مساء زود كل منا بالخبز والحوت المعلب، قد يكفينا ليومين أو ثلاث على الأكثر،، عند الساعة الخامسة مساء بدأت الشمس تختفي وراء الأفق، أمرت الكتائب الثلاث بالقيام والاستعداد على شكل نجمة ثلاثية بحيث تتقابل مقدماتها وجها لوجه، ثم طلب من الجميع دقيقة صمت ترحما على شهدائنا الأبرار، بعدها أمرنا ثانية بالإستعداد وإنشاد نشيد: (جزائرنا يابلاد الجدود)، بعد النشيد مباشرة أمرت كتيبتنا بالزحف نحو الحدود، انطلقنا مع نزول ظلام الليل، بقيادة الضابط بطاطا والضابط فلاح، وكذا سي البشير والضابط بالحسين مشينا يومين مع الإستراحة، لأننا كنا مثقلين بالأسلحة الفردية والجماعية، وفي صباح اليوم الثالث جاء أمر برجوع الضابط فلاح إلى مقر القيادة بالريبية، وتبقى قيادة الكتيبة لبطاطا وبالحسين، وفي مساء هذا اليوم اقتربنا من الحدود المحرمة، منطقة شبه صحراوية عارية لاشيء يحجب تحركنا نهارا، عن أنظار العدو ماعدا بعض الصخور

الصغيرة ونباتات محلية،ورقابة العدو لها شديدة، السير فيها في وضح النهار ضرب من الحماقة أو الجنون، أوعمل إنتحاري، فاجتيازها واجتياز مسافة مماثلة لها ما بعد الحدود التونسية التي تفصل مابين جبل بوجلال ونقطة الحدود هي ألعن من أختها، فكلتاهما منطقة خطيرة، ومحرمة، فاجتيازهما لايكون إلا في ليلة واحدة.. فكان محتما علينا اجتياز المنطقتين معا دون أن يحس العدو بعبورنا وإلا كان ما كان.

مخاطر العبور

أمام هذه الوضعية الصعبة،أُمرنا بالتوقف والإختفاء خلف الصخور ونباتات الجهة في إنتظار مجيء ظلام الليل،ووصول الفوج المكلف بمساعدة الكتائب على العبور، انتظرنا حتى التهم ظلام الليل المنطقة والتهمنا معها،حينذاك وصل الفوج المكلف بالعبور،وبدأنا نزحف جريا في ظلام الليل،استطعنا أن نقترب من نقطة الحدود بعد أن قضينا ثلاث ساعات جريا وهرولة، عندئذ استلقينا على الأرض، صارت صدورنا تصعد وتهبط،وتنهداتنا تنبعث متسارعة من كثرة الجري لمسافة بعيدة، استغرق بقاؤنا على الأرض مدة 30 دقيقة تقريبا، كنا نرهف السمع جيدا لنكشف ما قد يتحرك في نقطة العبور، وفجأة ملا آذاننا دوي محركات آليات العدو وهو يقترب من الحدود، لحظتها أمرنا بالتخفي والتستر خلف نباتات كثيرة بأرضية المكان ودون أن ينطق أحدنا بكلمة، ولم تمض إلا بضع دقائق حتى ملأت أعيننا مجموعة من الدبابات وهي تسير متتابعة ببطء، ومن لحظة لأخرى تصوب ضوءا ساطعا باتجاهنا علها تكشف كتيبة عائدة إلى الجزائر أو ذاهبة الى تونس، بقينا رابضين بأماكننا مدة نصف ساعة أخرى، وإذا بها تعود مرة ثانية بمحاذاة الحدود، كانت الساعة وقتئذ الواحدة ليلا، لم يبق لنا الوقت الكافي في هذه الليلة لقطع المسافة المحضورة الفاصلة بين الحدود وجبل بوجلال، وبات لزاما علينا أن نتراجع إلى وراء المنطقة المحرمة قبل أن يتضح النهار ويكشف العدو أمرنا ويحدث لنا مالا يحمد عقباه، أُمرنا بالرجوع جريا، ونتيجتئذ ماتت فرحتنا العارمة التي كانت تملأ قلوبنا ونحن نوشك أن ندخل أرضنا ونشم رائحتها الطيبة وننام ونمشي ونحيا على ثراها، ونقاتل ونقتل في ربوعها.



…ـبة من جيش التحرير الوطني بعد ان اصبح جيشا كامل التنظيم والتدريب تؤدي واجبها بكل استعداد وسرور .

عن وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية

عدنا إلى الخلف نجر أذيال الخيبة، بلافرحة، بلا أمل، بلا أكل، بلا أنتقام بلا... بلا... لم يبق لنا إلا بصيص من الأمل يراود أنفسنا، بتنا نزحف إلى الخلف ضد إرادتنا وآمالنا في العودة المنشودة، كنا ندعو الله ونرجوه مع كل خطوة نخطوها إلى الوراء أن يديم بقاء حياتنا حتى نستوفي رحلتنا هذه ونجني ثمارها: رؤية أرضنا وقبور شهدائنا وقراءة الفاتحة ترحما على أوراحهم الطاهرة، وتوا نقتل بعنف الذين قتلوهم ويقاتلوننا وعندئذ فلتكن نهاية رحلتنا هذه، أو يكون مصيرنا مصير من سبقونا الى مجد الشهادة، تلك هي دعواتنا ومناجاتنا لبارئ هذا الكون ونحن نزحف لاهثين تحت ظلام ليل يناير الدامس، وبرده القارس، لنخرج من المنطقة المحضورة قبل طلوع الشمس، وبعد جهد جهيد تمكنا من اجتيازها مع بزوغ الفجر، توقفنا وراح كل منا يبحث عن مكان للنوم، لأننا منذ 24 ساعة لم نذق طعم النوم.

قضينا معظم النهار نائمين، وعند مغيب الشمس انطلقنا مرة ثانية الى الحدود وحاولنا إختراقها ولم نقدر، وتبوء محاولتنا الثانية بالفشل لنفس العوائق، وتعاودنا خيبة الأمل، ونعود أدراج الرياح إلى الخلف، أنهارت قوانا وانهدمت أجسامنا من عناء السير وندرة الأكل، بدأ الجوع ينخر أوصالنا، صرنا نحس بالهزال. بدأت هذه المصاعب والمخاطر تفقدنا شجاعتنا وإقدامنا، وبدأ اليأس من اجتياز الحدود يتسرب إلى النفوس الضعيفة، كان أول من يئس وفقد شجاعته وغلبه اليأس واستسلم للخذلان والتخاذل هو قائد الكتيبة لا نعرف إسمه، قام يختلق أسبابا وهمية[لا تعرف]يبرر بها موقفه المهزوم، مدعما موقفه بالقول: إني لا أستطيع قيادتكم كما أريد، لأنكم لا تمتثلون لأوامري، وصرت أخاف منكم وعليكم، وبعد أن قدم هذه المبررات الواهيه عيّن مكانه سي بالحسين لقيادة الكتيبة، ثم قفل راجعا إلى تونس مفضلا البقاء في ديار الغربة بعيدا عن ويلات الحرب حين يدخل أرض المعركة مفضلا بذلك حياة الذل في ديار الغربة عن مجد وشرف الجهاد المقدس، نظرنا إليه وهو يولي دبره منسحبا من صفوفنا انسحاب المنهزم المقهور نظرة ريب وشك، وفي هذه اللحظات إنتابتنا حيرة وحسرة لما يحدث لنا كل يوم وكل ليلة، تركنا القائد فلاح في اليوم الأول لسبب ما، ويتركنا القائد الثاني في اليوم الثاني لسبب معروف، هو ضعف إيمانه بقضية أمته وشرفها، وفي اللحظات نفسها كانت تتبادر إلى أذهاننا أسئلة كثيرة منها: ماذا سيحدث لنا بعد هذا اليوم؟؟ هل سنبقى هاهنا بدون أن نتقدم أو نتأخر؟أم نبقى ننتظر الموت البطيء بفعل الجوع والبرد؟ أم نجتاز



الحدود مهما كان حجم التضحيات؟ في هذه الآونة قام أحدنا وقال: يا الخاوة؟ من المستحيل أن نبقى هنا مكتوفي الأيدي، وقد نفذ كل ما عندنا من الطعام، لابد أن نفعل شيئا؟؟.

نطق آخر قائلا: ماذا تريد منا يا أخي أن نفعل والحدود مسيجة بآليات الموت والدمار، ألم تر ذلك ليلة البارحة؟

وعلى الفور رد عليه قائلا: لنغير نقطة العبور هذه الليلة؟

- كيف؟

- نتجه نحو الحدود الغربية بعيدا عن منطقة جبل بوخضرة بدلا أن نتجه صوب جبل بوجلال؟ أعتقد أن هذه المنطقة خالية تماما من نشاط العدو ليلا، وبدلا من التنقل مع جبل بئر العاتر نتجه بمحاذاته عبر السهوب والهضاب؟؟

- نطق الجميع دفعة واحدة: نعم، نعم، نحن موافقون- لكن عبورنا مع الجهة المقترحة يتطلب منا جهودا كبيرة، بالإضافة إلى ذلك نجد أنفسنا بعد خروجنا من الحدود في شبه صحراء يسهل على العدو كشفنا بطائراته الإستكشافية.

- الجميع: كل هذا لايعيقنا. ننتقل ليلا فقط ونختفي نهارا خلف الصخور والنباتات أو تحت الرمال إن لم نجد غير ذلك، المهم لن نبقى هنا سجناء الخوف والجوع. قائد الكتيبة: لا أرى مانعا في ذلك مادمتم عاقدين العزم على ذلك، وحين غروب الشمس نتوكل على الله يالخاوة؟؟.

ما أروع الرجال حين يعقدون العزم بلا تردد ؟؟

حين تم الاتفاق على تغيير الاتجاه أحسسنا بانتعاشة أعادت لنفوسنا الحيوية والنشاط من جديد، وأعادت إلى محيانا إشراقة الصباح الوضاء، ونتيجتئذ ارتسمت على أفواهنا وعيوننا الأملة ابتسامة مبشرة بالوصول الى أرضنا مهما كانت الظروف. في هذه اللحظات المنعشة للهمم والأمل، والمنسية للأفكار والخواطر اليائسة. قمنا نعد أنفسنا ونتفقد أسلحتنا استعدادا لقدوم الليل لنغادر المنطقة

المحرمة الى أخرى تشتعل نارا... رصاصا... انفجارات لتشعل النار في من أشعلها في قرانا. في مداشرنا. في هذا اليوم كان لسان حالنا يلح في القول: أسرع يا ليل؛ أسرع، لقد طال انتظارنا لك، وأمسى ثقيلا على نفوسنا، مع العلم أن الناس يكرهون ظلامك، رجال، أطفال، نساء كلهم يكرهون ظلامك، باستثنا، نحن الذين نحبك في هذا العالم، أو الذين مصيرهم مثل مصيرنا. ما أروع الرجال حين يعقدون العزم بلا تردد على رد شرفهم وعلى رد اعتبار وجود أمتهم المدفون؟؟؟ نعم، حين يبلغ المرء نكران الذات من أجل الأهداف الشريفة، وحين يبيعها لخالقها، وقتئذ يصير فدائيا لايهاب الموت، بل يحاول التغلب عليه. فخط (شال) هو الموت بعينه، وهذا الموت يعترض سبيلنا ليبعث الموت الزؤام في أجسامنا تحت جنح ظلام الليل، ومع هذا فإننا مقبلون على مواجهته وقهره هذه الليلة وليكن مايكون؟؟ ليس لنا هنا أي حل آخر إلا المواجهة وجها لوجه.

الساعة الآن الرابعة والنصف مساء هاقد بدا الليل يلتهم الأفق، آنئذ دلفنا تحت الظلام نسير تارة ونجري تارة أخرى، ثم نهرول فنجري، فنتمهل لبعض الدقائق إلى أن اقتربنا من الحدود. مكثنا بعض الوقت نستمع ونترقب باهتمام شديد، ولما لم نرأي شيء ولم نسمع أية حركة، حينئذ شرعنا نزحف على بطوننا بحذر وأصابعنا على أزندة السلاح، زحفنا رويدا رويدا، كانت حواسنا الخمس ساعتئذ متجهة وفي آن واحد نحو من يقاتلنا ويمنعنا من الدخول إلى أرضنا لنصنع الغد المشرق والمستقبل الفاضل، وقتئذ كانت نفوسنا تنقبض خوفا من العدو تارة وتلتهب شجاعة وإقداما تارة أخرى إلى أن اقتربنا من جفن الردى (خط شال) وهو قائم أمامنا بكل أنواع القتل والإبادة.

ليلة مرعبة

حين اقتربنا منه اهتزت فرائصنا وانقبضت أنفاسنا في الوهلة الاولى، وازدادت دقات قلوبنا حين بدأ المكلف بقطع الأسلاك المكهربة يزحف ببطء الى أن بلغ السياج ثم وقف على قدميه وراح يتفحص كل شيء أمامه، في هذه اللحظات الرهيبة كادت قلوبنا أن تتوقف أو تطير من أضلاعنا خوفا مما قد ينجر من ثانية

لأخرى ونحن نحمل ماشاء الله من الأسلحة والذخيرة، كان كل منا ينطق بالشهادتين داخل نفسه استعداداً للموت إذا كشف العدو أمرنا. في هذه الآونة الحرجة أشارلنا المسبل بيده بالشروع في اجتياز الحدود، إذ لاوجود للأسلاك والألغام بهذه الجهة، عبرنا الحدود بسلام،حدث هذا في حدود الساعة الحادية عشرة ليلا،غمرتنا فرحة عارمة ليتلتنذ، قبلنا بعضنا البعض،وقبلنا أديم أرضنا، أحسسنا حينذاك أننا وصلنا إلى أهلنا رغم المسافة التي تفصل بيننا وبينهم تفوق ألف كيلومتر. وبعد استراحة قصيرة شرعنا نجري لنعبرى المنطقة المحر مة تحت جنح الظلام،فاجتيازها ليلا أمر محتم علينا، كان الجو ليلتئذ مضببا والظلام حالكا لانرى أين نحط أقدامنا، كنا نسقط من حين للاخر في برك ومستنقعات، ومع ذلك كنا نزيد من سرعتنا لنخرج من المنطقة المحضورة قبل أن ينجلي ظلام الليل، كنا نسير بإتجاه الجنوب الغربي، وكان الظلام دامسا لانرى الأشياء أمامنا غير بعض إطلاقات التنوير تظهر بعيدة هنا وهناك، سرنا حوالي ساعة،وإذا بالعدو يشعر بنا ويفتح بإتجاهنا وابلا من القذائف على حين غفلة،ولحسن حظنا كانت تسقط وراءنا وغربنا، انبطحنا على الأرض لنعرف مصادر القذائف المتهاطلة بالقرب منا، تمكنا من رؤية الوميض المنبعث من أفواه المدافع بوضوح، وهي ترمي بحممها في الظلام دون تسديد محكم.

مصيدة العدو

ركز العدو قصفه على الجهة الغربية الجنوبية لسد مسارنا وتغيير اتجاهنا نحو جبل بوجلال ليبيد جمعنا بطائراته ودباباته حين يتضح النهار، فجبل بوجلال مصيدة أوفخ العدو الذي ينتظر وصول المجاهدين إليه، جبل صغير يسهل عليه حصاره بإحكام، أرضه قليلة الأشجار والصخور، بعيد عن الجبال الشمالية، والإنتقال منه إلى غيره يتطلب يوما كاملا من السير، والعدو يعرف جيدا بأنه إذا اجتازت كتيبة من المجاهدين ليلا من الحدود باتجاه الجزائر،فإنه حتما يتضح النهار عليها في هذا الجبل، وهو الأمر الذي يجبرها على التمركز فيه طول النهار، معتقدة أنها قطعت أو عبرت خط (شال) وكذا المنطقتين المحرمتين المحاذيتين له، وهنا تقع في مصيدة العدو دون أن تدري بذلك في الوهلة الأولى، وعندما تطلع



وحدة تتأهب لخوض معركة

ـ أخذت الصورة من : (معارك ثورة التحرير) منشورات قسم الإعلام والثقافة ـ طباعة جريدة الوحدة ـ العدد ١٩٩٤/٨٢

شمس الصباح يداهمها العدو على حين غفلة بالطائرات والدبابات،ولامناص لها من الكارثة، لأنها في جبل مكشوف لاشي، يحميها من أنواع القنابل والقذائف، ولا تقدر على فك الحصار المضروب عليها، ولا بإمكانها مقاومة العدو طول النهار ثم الإنسحاب الى منطقة أكثر حصانة، والمانع من ذلك هو عراء الأرض المحيطة به وابتعاده عن الجبال الكبيرة الغابية.

هذه هي مصيدة العدو التي يترصد فيها المجاهدين القادمين من الجزائر أو من تونس، وفي ليلة عبورنا من تونس بات العدو يستدرجنا إليها،وذلك بتركيز القصف المدفعي على يميننا وشمالنا وورائنا لم يترك لنا إلا إتجاه واحد، الاتجاه الذي يريد أن نسير معه، وإذا نحن في وسط جحيم من نيرانه، وينجح العدو في خطته ويجبرنا على تغيير اتجاهنا نحو ترسانته بعد أن استشهد منا 15 مجاهدا، تقدمنا باتجاهه بدلا من أن نتوقف أو ننحرف إين تصب القذائف صبا مستمرا إلى أن وصلنا إلى وادي بين ترسانتين، اختفينا فيه لبعض الوقت، رأينا الدبابات عن كثب وهي ترمي بحممها، أبصرنا الموقف جيدا، وأدركنا الخطر والمكيدة التي يكيدها العدو لنا، كانت إطلاقات التنوير حول محيط الترسانتين تصلنا، وبها أبصرنا بوضوح ماحولنا،وجدنا أنفسنا في غاية الخطورة، حينئذ بدأنا نزحف على بطوننا في حذر مع الودي الذي يمر بين الترسانتين، صرنا نرى عن كثب مدفعية العدو وهي ترمي حممها إلى الجهات المشبوهة بتواجدنا، كانت القذائف تمر فوق رؤوسنا، زحفنا على الماء والأوحال الى أن ابتعدنا عن الخطر بصعوبة لامثيل لها. ثم انحرفنا نحو الجنوب الغربي من تبسة.

كانت الساعة حين خروجنا من منطقة الخطر حوالي الثالثة ليلا. النهار يقترب منا أكثر ونحن في منطقة منبسطة جرداء نجهل حيثياتها تماما، واصلنا سيرنا بسرعة فائقة بدون توقف إلى أن بلغنا وبزوغ الفجر منطقة تكثر فيها نباتات كثيرة متراصة، أُمرنا مباشرة بنزعها والتستر بها عن الطائرات عندما يتضح النهار، وبسرعة مذهلة صرنا نشبه نباتات الجهة، وحين طلع النهار وجدنا أنفسنا في أرض قاحلة يقابلنا من بعيد جبل بوجلال الذي فضله العدو لاستضافتنا فيه صباح هذا اليوم، ولما طلعت الشمس في كبد السماء، بدأنا نرى بالعين المجردة عشرات الدبابات والفرسان تتقدم إلى جبل المصيدة، وبعد دقائق بدأ أزيز الطائرات يملأ آذاننا وهي آتية من كل صوب إلى مكان المكيدة.

في هذه الآونة تبادلنا نظرات الدهشة المتسائلة، وقلنا: لو ذهبنا هذه ليلة البارحة؟ لو؟.. لو...؟ ولو؟ لم يكن عبور خط شال سهلا. وفجأة وصف دوي المدافع والقنابل، ظل يدوي ويرن في آذاننا حتى مجيء الليل. كنا نتبادل نظرات التفاهم من حين لآخر ونقول: إن العدو أصيب حقا بخيبة أمل شديدة بعد ما تبين له أنه ظل يقصف بكل ما أوتي من قوة ووسائل الدمار جبلا خاليا بدون جدوى. وبعد مغيب الشمس عاد العدو إلى قواعده يجر أذيال الخيبة، حينئذ انتقلنا تحت جنح الظلام وقلوبنا مثلجة بنشوة اجتيازنا للحدود بنجاح وإفلاتنا من مكيدة عدونا، بتنا سائرين إلى غاية الفجر أين التقينا صدفة بالمحافظ السياسي صحبة مسؤولي هذه المنطقة حيث زودونا بكل المعلومات الخاصة بنشاط العدو في المنطقة الموالية، إثر هذا قادونا إلى (كازما) تسع لعددنا البالغ 175 مجاهدا، قضينا بها ثلاثة أيام تحت إشراف المحافظ السياسي من حيث الأكل والشرب والحراسة. تمكنا من إسترجاع نشاطنا وقوتنا.

قرب السبخة

في ليلة اليوم الرابع انطلقنا صوب سلسلة جبلية مكونة من جبال. قرن حمار وعين سجرة وصلناها قبل طلوع الشمس بقليل، قضينا نهارنا فيها، وفي المساء ارتحلنا ليلا إلى جبل آخر، مكثنا به إلى غاية غروب الشمس، ثم اتجهنا إلى جبل عمامة، ومنه إلى جبل الطرف القريب من قرية (كروبير) المسماة بإسم أم البواقي حاليا، منطقة يحدها شرقا جبل الطرف وجنوبا السبخة المعروفة لدى مواطني هذه الجهة.

في يوم 1958/01/20 نزلنا ضيوفا على مواطنين قاطنين أسفل الجبل، سكناتهم متناثرة هنا وهناك، بعضها متاخم للسبخة، معظم هذه السكنات محاط بسور من الحجر ومن نبات الشوك الهندي، المسمى عندنا (كرموس النصارى)، مواطنوا هذه الجهة فقراء يعيشون من تربية المواشي التي أصبحت هي الأخرى تتناقص باستمرار بسبب تعرضها لنهب وسطو عساكر العدو، بالأضافة الى ذلك قساوة الطبيعة وضعف تربتها، بالرغم من ذلك كله لقد استضافونا من أعماق

وفي مساء اليوم الثاني رجانا كبار هؤلاء السكان بإلحاح بمغادرة ديارهم خوفا من أن ينكشف أمرنا وتحصل الكارثة بهم وبنا، ولكن قائد الكتيبة سي (بالحسين)* رفض رجاء هم بقوله: نظرا للأمطار الغزيرة والثلوج المتراكمة على قمم الجبال والسفوح،فإننا سنبقي هنا إلى مساء اليوم الموالي،متحديا بهذا رجاء هم ورجاء معظم أفراد الكتيبة على مغادرة الديار، بتنا عندهم رغم إرادتهم وإرادتنا حتى مطلع الشمس، باتت الأمطار تنزل وظلت كذلك حتى المساء، وفي ليلة اليوم الثالث طلب (بالحسين) من ممون هذه الناحية تزويد الكتيبة بالمؤونة الموجودة عنده، وعلى الفور رفض هذا الأخير طلب بالحسين بقوله: أعطيت لي أوامر صارمة بأن لا أعطي شيئا مما عندي من المؤونة لكتيبة غير كتيبة هذه الناحية، حينئذ أشتد غضب بالحسين وثار ثائرته وأمر جنوده بتقييد يديه ورجليه ، فقيد في ذات الحين،ثم أقدم عليه بالشتم والنهر، الحق تصرف غير لائق قام به قائد الكتيبة مع الرجل في داره وأمام جيرانه، بات مقيدا وهو يرجو ويستعطف القائد،ويرجو منه فك قيده في حين كان أبنه يرى ويسمع كل شيء يرى أباه مكبلا ويسمعه وهو يستعطف، قضينا هذه الليلة ونفوسنا مشمئزة متشائمة مما أقدم عليه قائدنا، وفي الصباح الباكر دخل أحدنا وسط الشوك الهندي القريب من السكن ليقضي حاجته،وعن طريق الصدفة أكتشف مخبأ المؤونة،ثم عاد مسرعا وأخبر القائد بذلك،وعلى الفور قام وأخذ معه مجموعة من الجنود واتجه إلى عين المكان،أين وجد ماكان يطلبه،ثم أمرهم بحمل مايمكن حمله: تمر وحوت معلب وشربة ومقارونة وعلب حليب (نسلي)، ومربى الفواكه والقهوة والسكر ووزع فورا ما أخذه بالقوة على الأفواج الخمسة الموزعة هي الأخرى (المتباعدة) على السكنات المتباعدة عن بعضها البعض، حدث هذا في حدود الساعة الثامنة صباحا، وهو الوقت الذي غادر فيه معظم المواطنين ديارهم، لقد أخرجوا حيواناتهم قبل طلوع الشمس واتجهوا بها إلى الجنوب رغم البرد القارس لترعى في السهوب هناك، أو خوفا مما قد يحدث هذا اليوم؟؟؟.

إن خروج معظم السكان في الصباح الباكر أثار في نفوسنا الريبة والشك، احترنا كثيرا لهذا ورحنا نسأل بإلحاح بعض من بقي منهم عن سبب خروجهم الجماعي هذا، وأخيرا أُخبرنا بأنهم خائفون من مداهمة العدو للقرية هذا اليوم،

* قام القائد بالحسيني بعمله هذا لأن حياة 175 مجاهدا تقتضي منه اتخاذ أية وسيلة لسلامة تابعيه، لأنه المسؤول الأول والأخير عن حياتهم.

لأنهم رأوا ابن الممون المعاقب انطلق باكرا على دراجته الى مدينة (لاكوروبير) ولايعلمون لماذا ذهب هناك.

معركة غير منتظرة

في حدود الساعة الثامنة صباحا، وبالضبط مع طلوع الشمس ظهرت طائرات العدو فجأة في كبد سماء المنطقة متجهة نحو تواجدنا، وفي الوقت نفسه أخبرت حراستنا بأن قوافل عسكرية آتية من الجهة الشمالية، وأخرى من الجهة الغربية، وفي غمضة عين خرجنا من البيوت ودلفنا داخل نبات الشوك الهندي وانتشرنا على امتداد سور حجري كان محاذيا للبيوت لنستتر عن الطائرات من جهة، ولنحمي أنفسنا من قنابلها من جهة أخرى.

ففي القنبلة الأولى قتلت مسؤول الحراسة (محمد البلاتين ومساعده) وحطمت رشاشهما من نوع (ابران)، وفي هذا الوقت بالذات صرخنا بأعلى أصواتنا في الأفواج الخاصة بإستعمال الرشاشات المضادة للطائرات بالتصدي للطائرات المغيرة، وبسرعة وعلى جناح السرعة ثبت الأخ (عنصر عبد القادر) المدعو (عنتر) رشاشا من نوع (أ. م. ج 42) ثبته على جدار حجري وراح يزرع بشجاعة وثبات مجال الطائرات المغيرة بنيران رشاشه المصوبة بإحكام، تمكن من إسقاط طائرة وأصاب ثانية بعطب، وفي الوقت نفسه تمكن الفوج المقابل لنا من إسقاط طائرة أخرى، ونتيجتئذ أجبرت بقية الطائرات عن الإبتعاد عاليا عن مواقعنا، في هذه القنبلة سقط من صفوفنا خمسة شهداء وأربعة جرحى، هممنا في نهاية هذا الهجوم المفاجئ بالخروج من المنطقة المكشوفة والانسحاب إلى جبل الطرف، لكنه يبعد عنا بنحو عشرة كيلومترات تقريبا أو مايزيد،، وكانت كل الممرات المؤدية إليه عارية وقد طوقها العدو بعدة دبابات وميئات الجنود، بالإضافة إلى ذلك وصلت عدة طائرات هيليكوبتر الى سفح الجبل وأنزلت به أفواج المظليين قصد منعنا من الوصول إلى قمة الجبل.

فكرنا والحال هذه في الإنسحاب نحو الشرق، وإذا بعدد كبير من الدبابات تتقدم نحونا، ولم نكن نفكر في الإنسحاب نحو الجنوب لأننا محاصرون طبيعيا،

محاصرون من قبل سبخة كبيرة وبأرض جرداء مكشوفة.في هذه الآونة وجدنا أنفسنا كالأيتام في مأدبة اللئام، محاصرون في منطقة مكشوفة ومنبسطة تسيطر عليها المدافع ودبابات العدو بكل سهولة ويسر.

بهذه الحيثيات لم يكن في إمكاننا فك الحصار المضروب علينا ومقاومة جحافل العدو الباغية طول النهار، اللهم إلا إذا كنا... نملك أسلحة أقوى من أسلحتهم وعددنا يساوي عددهم أو يزيد، وهذا ما كنا نفتقر إليه، فعددنا لا يتجاوز 175 مجاهدا مقابل أضعافا مضاعفة من قوات العدو، وأما ما نملك من الأسلحة فحدث ولا حرج، فكرنا كثيرا في إيجاد مخرج يمكننا من الخروج بسلام من المأزق الخطير، أو بالأحرى من الهلاك الأكيد، ولم نهتد إلى أي حل، حينئذ قررنا بالإجماع البقاء في أماكننا والإستعداد لمواجهة العدو حتى النهاية مهما كان حجم الخسائر والتضحيات، وبعد أخذنا لهذا القرار، وبعد مضي 30 دقيقة من القبلة الأولى انقضت علينا مجموعة من طائرات: (ب 26) على ارتفاع منخفض. أفرغت علينا قنابلها ونيران رشاشاتها الخلفية وهي ترتفع في الجو، تمكنت رشاشاتنا الدفاعية من إسقاط طائرتين، وحينئذ لاذت بقية الطائرات بالفرار ومغادرة المنطقة، وبعدئذ شرع القصف المدفعي يدك مكان تواجدنا دكا مستمرا،دام نصف ساعة تقريبا، سقط على إثره الكثير من صفوفنا مابين قتلى وجرحى، حقا، لقد أثر القصف الجوي والمدفعي كثيرا على معنوياتنا الى درجة لايعرفها إلا من ذاق طعم هذا القصف الجهنمي وفي أرض مكشوفة، المهم حدث الذي حدث، ولم يبق أمامنا إلا تحصين أنفسنا أكثر من القذائف،تمكن بعض الإخوة من الدخول إلى الحفر العميقة التي أحدثتها قنابل طائرات (ب 26).. وصحنا في بعضنا البعض: أصبروا وصابروا؟ تشجعوا ياالخاوة؟ فالله معنا، الله أكبر، ثم سكتنا جميعا لوقت قصير، خيم علينا صمت رهيب، راح خلاله كل واحد منا يردد كلمة (الله أكبر) ويردد الشهادتين داخل نفسه، وبعد مدة لا هي طويلة ولاهي قصيرة جدا، توقف القصف المدفعي وتلاشى أزيز الطائرات، ففي هذا الوقت ساد المنطقة السكون الذي يسبق العاصفة الى غاية الساعة الثانية زولا تقريبا.

معركة مع الدبابات

عند الساعة الثانية والنصف زوالا؛ وإذا بعدد كبير من الدبابات الخاصة بالصراء المسماة (التيقر)، إي (نمر الصحراء) تتقدم نحونا، وعدد كبير من الجنود مقتفيا آثارها، صاح الأخ ظريف الجيلالي وبعض الإخوة الآخرين بأعلى صوت: لاتخافوا منها؟ ولاتتحركوا من أماكنكم؟ ولاتطلقوا النار عليها؟ وحين تقترب منكم أرموها بالقنابل اليدوية الموجودة معكم؟ تشجعوا ياالخاوة؟ فالله معنا؟؟؟.

حينئذ امتثل كل الاخوة للأوامر والنداءات دون استثناء، وراحوا يتابعون حركات العدو ودباباته، وعندما اقتربت من مواقعنا بحوالي 300 الى 400م توقفت وراحت تصب نيران رشاشاتها ومدافعها في اتجاهنا مدة من الزمن، تهاوى على الأرض كل شيء كأنه قائما بالقرب منا. حدث كل هذا من جراء القصف العنيف: سكنات- نبات الشوك الهندي، بعدئذ صاح احد الإخوة بصوت مرتفع قائلا: ياالخاوة؟ النار النار، ولا العار، عيشوا أبطالا أو موتوا شهداء؟؟؟

سمع هذه الصيحة المشحونة بالشجاعة كل الإخوة المتواجدين بين الحفر وبين أغصان الشوك الهندي فزادت في نفوسهم الإيمان بقضاء الله وقدره، وماهي إلا دقائق حتى توغلت الدبابات وسط أفواج الكتيبة وشرعت تمر على جثث إخواننا الذين أستشهدوا قبل هذه الآونة، وعند ئذ صرخ جميع الإخوة بصوت مرتفع: الله أكبر، الله أكبر، وبدأت أيديهم ترمي الدبابات بالقنابل المحرقة من كل مكان، من الحفر، من وراء السكنات المهدمة، من وراء أغصان الشوك الهندي الهاوية على الأرض، احترقت نتيجة المواجهة هذه عدة دبابات ولادت البقية بالفرار، حينئذ تشجع الإخوة إثر تصديهم الناجح وبدأت رؤوسهم تخرج من مخابئها وتطلق نيران رشاشاتها على العدو ثم تهبط مختفية، ساعتئذ تشتت صفوف العدو واختلت حركات تحركه، ووقتئذ أمر بالتراجع للوراء لينظم صفوفه من جديد بعد أن تمكن من القضاء على فوج كامل من صفوفنا، كان غير محصن تحصينا واقيا وأسر

بعض الجرحى من هذا الفوج، وكان بين هؤلاء الجرحى كابت كتيبتنا الذي كأن يحمل معه قائمة بإسماء افرادها، حدث هذا في حدود الساعة الرابعة مساء.

المواجهة الحاسمة

في حدود الساعة الرابعة مساء، تراجع العدوا الى الخلف،الشيء الذي سمح لنا بتبريد أسلحتنا التي سخنت الى درجة لم نستطيع مسكها والتصويب بها،فكثير منا انشوت رحى يديه من شدة حرارة الأسلحة، صرنا نبردها بنبات الشوك الهندي القريب منا وهو نباء مملوء بالماء، بالإضافة إلى ذلك وضعناها على الأرض المبللة بالمطر الذي بدأ ينزل في هذه الآونة، الساعة الآن الخمسة والربع، ظلام الليل يقترب وأمل النجاة بدأ يدب في نفوسنا، وجحافل العدو تتقدم نحونا رويدا رويدا وهي متراصة كتفا لكتف،مكونة جدارا بشريا يتحرك، آنئذ كان كل منا يقول داخل نفسه: لطفك يارب؟ ماذا أرى يارب؟ لقد أنجيتنا من قذائف المدافع والطائرات التي هبطت علينا طول النهار وسنواجه قوات العدو البرية الآن،فأعنا على قهرها يارب العالمين؟؟؟ وغلبنا على أعدائنا وأعداء دينك؟؟!،في هذه اللحظات الحرجة صرخ أحد المجاهدين من موقعه بصوت مرتفع مذكرا: ياالخاوة، تذكروا قوله تعالى: ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين..وقوله: إن تنصرو الله ينصركم ويثبت أقدامكم. فلا تخشوا من كثرتهم ياالخاوة. فهم جبناء. جبناء، وما أن وصلت هذه الآيات القرآنية أسماع الإخوة المتأهبين للمواجهة المصيرية حتى امتلأت قلوبهم بالإيمان بالله والتضحية في سبيله والتصميم على تطبيق أوامره،ولا (تهنوا ولاتحزنوا إن كنتم مؤمنين)، ردد الإخوة بصوت خافت هذه الآيات: ولاتهنوا ولاتحزنوا.(وإن تنصروا الله ينصركم) و (إن ينصركم الله فلا غالب لكم).

في هذه الآونة انتصب رؤوس الإخوة في شموخ وإباء تترصد حركة الأعداء، وماهي إلا لحظات حتى ملأ الأوباش أعيننا وأفواه رشاشاتنا،وفي لحظة واحدة أمطرناهم بوابل من الرصاص،حصدنا حشدهم الأمامي حصدا فضيعا، سقط على إثره عدد كبير من القتلى والجرحى، حينئذ اختلت خطوطه وارتبك عليه الأمر من كثرة الصراخ والفرار الفوضوي، سمعنا قائدهم وهو يأمرهم بالرجوع وإعادة



تحفز ويقظة

أخذت هذه الصورة من مجلة أول نوفمبر

العدد 85/54

صفوفهم، وبعد مدة قصيرة سمعناه وهو يحثهم ويحرضهم على الهجوم علينا من جديد، في هذه المدة لم تتدخل مدفعية العدو خوفا على قواته القريبة منا، وهو الشيء الذي أعطانا فرصة لتحصين أنفسنا في مواقع أكثر حصانة. كنا نرى من مواقعنا كل حركات العدو بالعين المجردة، في حين لم يتمكن العدو من رؤيتنا، لأننا بقينا لاصقين بالأرض منذ الصباح، منذ بداية المعركة، فكل حركة منا كانت تتم زحفا على البطون.

قبل مغيب الشمس بقليل،شكل العدو دفعة من المظليين والكوماندوس (المدروقين) جاءوا إلينا ليأخذونا أحياء مستسلمين بدون مقاومة أو بها حسب زعمهم، جاءوا هذه المرة بمكبر للصوت وشرعوا ينادوننا بإسمائنا الحقيقية الواحد تلو الآخر، ويدعوننا إلى الإستسلام والخروج من المواقع رافعين أيدينا قبل فوات الأوان، في الوهلة الأولى من سماعنا لأسماء أفراد الكتيبة كلها أنتابنا شك وريب لدرجة جعلتنا نعتقد بأن قيادة الكتيبة أرادت منا ذلك، وبسرعة فائقة أدركنا (المناورة) حقيقة المخادعة المتمثلة في احتمالين اثنين لا ثالث لهما، الاحتمال الأول:هو أن أسماءنا تحصل عليها العدو من كابت كتيبتنا، وهذا إما خاننا وسلم نفسه للعدو وسلمه قائمة أسمائنا،

الإحتمال الثاني هو: استشهاد الكاتب ووجد العدو قائمتنا في محفظته، مرت دقائق ودقائق والعدو ينادينا ويطلب الإستسلام، لم ينطق أحد منا ولم يتحرك من مكانه أثناء الدقائق الماضية، وفجأة صرخ أحد الإخوة من مخبئه محذرا: ياالخاوة! إحذروا وحذار؟ هذه خديعة ماكرة؟؟ هذه مكيدة شيطانية؟؟ لاتبرحوا أماكنكم وكونوا مجاهدين أبطالا؟ فظلام الليل قد حل؟؟

بعد هذا التحذير انتظر العدو دقائق أخرى رد فعلنا، ولما يئس مما كان يطلبه أعطيت الأوامر للمدروقين بالهجوم علينا وحينها؟ أقدمت علينا حشود المظليين المدروقين تمشي كتفًا لكتف، بلا اختفاء ولا انثناء، قدموا إلينا مستقيمي القامة، كأنهم لايخافون الموت ولايهابون الرصاص، أجسام تمشي واقفة وكأنها بلا روح صارت تقترب منا شيئا فشيئا، اندهشنا من هذه الظاهرة التي لم نألف مثيلتها قبل هذه اللحظات، التفتنا لبعضنا البعض متسائلين عن كيفية مواجهة هذه الشجاعة وهذا الإقدام؟ ولحظتئذ نطق أحد الصامدين قائلا: ياالخاوة؟ اتركوهم يقتربون منكم جيدا ثم اضربوهم ضربة مميتة، فهم سكارى مخدرون، لاتخشوهم فهم

القضاء علينا، كونوا شجعانا بالخاوة فالله معنا، الأعداء يقتربون منا ويقتربون ونحن ننتظر دنوهم منا بشوق شديد، عبأنا رشاشاتنا وتأكدنا من أنها معبأة، سئمنا أماكننا لأننا ظللنا لاصقين بها طول النهار، تخلصت نفوسنا من الذعر والرهبة والخوف من الموت، لقد أحسسنا بالموت مرات ومرات في هذا اليوم، ولم نكن نعرف وقتئذ من مات من الأفواج الأخرى، هاهم أبناء الكلاب قد اقتربوا منا جيدا، إنهم كثيرون من عددنا بعشرات المرات، لكن إيماننا أقوى من إيمانهم بمليار مرة؟ وفي لمح البصر تلفظ رشاشاتنا نارا ذات لهب راحت تهشم الأجساد المخدرة ونتيجتئذ لاذ بالفرار من بقي منهم حيا، وتتعالى أصوات الأعداء مرة أخرى ويزحف علينا صف ثان في استقامة تامة وافراده يشتموننا ويتوعدوننا بالموت والتعذيب، وأمام هذا الموقف تبادلنا التفاهم بصوت منخفض وقلنا: إنهم سكارى مخدرون فاقدو الوعي،لن نستسلم لهؤلاء الأوباش مادمنا أحياء، ولن نرضى بالقبض علينا حتى ولو نفذت كل ذخائرنا وقنابلنا، فإننا سنقاومهم بالخناجر إلى أن نموت كلنا،بدأنا نعد مابقي معنا من الطلقات والقنابل اليدوية ونثبت أسلحتنا استعدادا لخوض المعركة النهائية، وهذا إما بنهايتنا أو بنهايتهم، الساعة السابعة إلا..؟ والظلام شرع يلتهم الأفق ويلتهم المتناحرين معا، ونحن نعرف أن جنود العدو يخافون ظلام الليل مثل خوفهم من المجاهدين، بينما نحن المجاهدين على العكس من ذلك، نحبه ونشعر فيه بالقوة أكثر،ونحتقر العدو ونستصغره، بحلول ظلام الليل حل في نفوسنا أمل الإنتصار والنجاة معا، اقتربت منا جيدا موجة بشرية وهي توجه نيرانا كثيفة نحونا دون تسديد مضبوط نحو هدف معين قصد زرع الرعب في أنفسنا وزعزعتنا من أماكننا المستترة عن أنظارهم، صرنا فعلا في وسط هدير من النيران. لم نرد عليها بالمثل، تركنا قصدا الجحافل تتقدم ودون أن نشعرها بأننا موجودون أحياء هنا، وعلى هذا اغتر الأوباش المغفلون من عدم مقاومتنا لهم بأن لاشيء يوحي بأننا أحياء، نترقب وصولهم لنزهق أرواحهم، وبالفعل تركناهم يقتربون حتى لم يبق بيننا وبينهم سوى بضعة أمتار وعلى حين غفلة انطلقت رشاشاتنا وقنابلنا اليدوية تبعث في أجسامهم الموت الزؤام، حصدنا جمعهم حصدا فضيعا لامثيل له، وتزداد المعركة شدة وضراوة بلغت الذروة، كانت ضرباتنا ماحقة مؤلمة في الأجسام المخدرة التي ضاع صوابها وأصبحت لاترى ولاتعرف من أين ينبعث إليها الموت، بينما كنا نراهم من خلف تحصيناتنا وسط الظلام، لأننا ملتصقون بالأرض وهم واقفون، حاول العدو عدة مرات للوصول إلى



- صورة تذكارية لمجموعة من المجاهدين وهم الأخوة
- الرائد: عمر رمضان عضو الولاية والشهيد محمد مرانقو - الشهيد سليمان رئيس ناحية
- الضابط الثاني المختار السايحي
- الضابط الأول: قدور سرباح - الملازم الأول: السعيد بوراوي

مواقعنا فنجبره على التراجع إلى أن صار ظلام الليل حالكا،وصار أفراد العدو لايرون بعضهم البعض، ولايعرفون أين يضعون أقدامهم، ساعتئذ انسحب العدو من ميدان المعركة وشرع يجمع صفوفه المتواجدة غربنا وشمالنا في الجهة الشرقية بعيدا من مواقعنا.

توقفت الملحمة،وتوقف معها نهائيا هدير الرشاشات ودوي المدافع والقنابل اليدوية، توقف كل هذا في حدود الساعة الثامنة ليلا، ومع هذا فإننا لازمنا أماكننا لعدة دقائق نتحسس لأية حركة قد يبديها العدو بالقرب منا، من يدري؟ لعله لازال مختفيا ينتظر خروجنا من الخنادق وحينها يباغتنا بنيرانه وقنابله من يدري....؟؟!

وبعد مدة من الترقب والحذر تبين لنا أن منطقتنا خالية من وجود العدو، حينئذ خرجنا من مواقعنا ووقفنا على اقدامنا لأول مرة طول هذا اليوم، بدأنا نقترب بحذر من حيث شهدائنا هنا وهناك وبين جثث الأعداء، من يدري؟ لعل بعض جنود العدو يتظاهر بالموت وعندما نقترب منه في الظلام يردينا قتلى بسهولة، ووقتها بدأ يتجمع من بقي منا حيا في مكان واحد، وبعد عدة دقائق تجمع 36 مجاهدا منهم أربعة جرحى،هذا مابقي حيا من 175 مجاهدا، وإثر هذه الفاجعة بدأ كل منا ينادي بأعلى صوته: ياأحمد؟ يامحمد؟ يامحمود؟ ياعثمان؟ يا....؟ يا....؟ يا....؟ لاحياة لمن تنادي؟.

لقد استشهد من كتيبتنا 133 مجاهدا، سبقونا إلى مجد الشهادة ونعيم الخلود، جمعنا جثثهم الطاهرة، جثث ممزقة، وأخرى مشوهة، وبعضها منقوص الأطراف، أسلحتهم التي قطعوا من أجلها حوالي 1500 كيلومتر مشيا على الأقدام حطمت، ذخائرهم، قنابلهم بعثرت هنا وهناك، وأمام هذه الوضعية وقفنا حول جثث إخوتنا وقفة إجلال وخشوع ورحنا نتأملها لعدة دقائق ولسان كل منا ينطق بصوت خافت حنين بالشهادتين: أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله، ومكررا الآية الكريمة: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، لم نكن نفكر في هذه الآونة في أنفسنا ولا في الإنتقام من القتلة المجرمين، ولا في أهلنا، ولا في تحرير الجزائر، إنما كنا نتأمل جثث إخوتنا ونستحضر طيبة نفوسهم وحيويتهم وشجاعتهم الفائقة ونتصور حلاوة كلامهم وضحكاتهم البريئة وكل صفات وخصال إخوتنا الذين عشنا معهم كل متاعب الرحلة الطويلة الشاقة وتقاسمنا حلاوة الرحلة ومرارتها، لم نكن نفكر فيمن سيأتي لمساعدتنا على الخروج من أرض

المعركة، أو لإنقاذنا من الهلاك، من الجوع، من التيه، من الضياع، من... من...؟إنما كنا ندعو الله بإيمان عميق من قلوبنا المجروحة المتألمة أن يديم حياتنا ويهبنا القدرة على أن نجبر عدونا القتال بحد النار على الرحيل من أرضنا وإلى الأبد.

كان لسان حالنا هذا ونحن واقفون في صمت رهيبٌ لعدة دقائق،ثم عدنا بأذهاننا إلى جثث إخوانناورحنا نسأل أنفسنا: أنخفيها في الحفر التي أحدثتها قنابل طائرات (ب.26)؛أم نحفر لها قبورا بدون فؤوس؟ أم نتركها مكشوفة على أرض المعركة فتنهشها حيوانات الصحراء الجائعة؟ أو حيوانات الجبال المفترسة؟ وحتى السكنات القريبة منا دمرت بمن فيها ومافيها؟ لم نكن نعرف أين نتحرك لفعل أي شيء للجثث؟ وأين نتجه بأرواحنا المتألمة؟ في هذه الآونة الحرجة سمعنا وقع أقدام دابة يقترب منا شيئا فشيئا، وبسرعة. صوبنا أسلحتنا صوبه في صمت رهيب، تركناه يتقدم إلينا أكثر، وإذا به حصان وعلى ظهره شخص،ومن ورائه أكثر من عشر أشخاص ، حينئذ صحنا فيهم: قف؟! لحظتها وقفوا ووقف الحصان، وعلى الفور نطق أحدهم قائلا: نحن إخوانكم مجاهدون من كتيبة محلية، كنا متمركزين جنوب السبخة في أرض جرداء مكشوفة، والتنقل فيها نهارا هو عمل إنتحاري لاجدوى من ورائه، الأمر الذي حال دون إلتحاقنا بكم لمساعدتكم على فك الحصار المضروب عليكم منذ الصباح. واكتفينا بمراقبة مجريات المعركة من بدايتها إلى نهايتها، وقلوبنا تتحسر وتنزف دمًا عليكم، وقبيل غروب الشمس،رأينا فرق العدو وهي تنسحب من الجهة الجنوبية والغربية وتتجمع بالجهة الشرقية من تواجدكم، وعلى هذا الأساس جئنا إليكم مسرعين خوفا من أن تنسحبوا ليلا وتتوجهوا نحو الجهة الشرقية ويقع لكم مالا يحمد عقباه، هذا من جهة، ولنقدم لكم وللمواطنين يد المساعدة الممكنة من جهة أخرى.

بعد سماعنا لهذا التوضيح،تيقنا بأن الوافدين إلينا في هذه الظروف هم المجاهدون، وحينها قلنا لهم: تقدموا وأيديكم مرفوعة؟ إمتثل الإخوة للإوامر وتقدموا إلينا، وحين وصلوا إلينا راحوايعانقوننا بحرارة وهم يقولون: إنكم أحياء بعد الذي حدث لكم طول النهار؟؟؟! حمداً لك يارب العالمين؟ شكرا لكم ياأبطال؟ حينئذ نطق أحدنا قائلا:

حصيلة المعركة

لقد إنتهت معركتنا بالخاوة بإستشهاد 133 مجاهدا،بما فيهم قائد الكتيبة وكاتبه وأسر رأسَرَ العدو أربعة مجاهدين جرحى، وفُقد ثلاثة منا أعتقد أنهم خرجوا من ساحة المعركة وهم أحياء إن شاء الله. لقد استشهد إخوتنا بعد أن أبلوا البلاء الحسن، وتمكنا معهم من إسقاط أربع طائرات مقاتلة وإعطاب عدد مماثلا؟ كما تمكنا من قتل أكثر من 300 معتدي،وتدمير عدة دبابات. تمكنا من إحداث هذه الخسائر الفادحة في صفوف العدو بفضل إيماننا العميق بالله وبقداسة قضية أمتنا ووطننا من جهة، وبفضل ماكان في حوزة كتيبتنا من أسلحة متطورة من جهة أخرى، إذ كان كل مجاهد يحمل سلاحا من نوع (موزير ألمان) ومزودا بـ 500 طلقة بالإضافة إلى قنبلتين مضادتين للدبابات، أما الذي كان يحمل رشاشا خفيفا فهو مزود بـ 900 طلقة بالإضافة إلى كل هذه الأسلحة الفردية سبعة عشر مدفعا رشاشا حديث الصنع، أثنى عشر من نوع أ. م. ج. عيار 42 و 34 وأربعة مدافع رشاش من نوع (أبران).

وهذه بعض أسماء الذين استشهدوا أذكرهم على سبيل المثال لا الحصر،وهم الإخوة: ظريف الحاج- الطاهر قوادري، الصادق بن عبد الله،عباسي بن ميرة- بن ميرة حفيد ملوج قسوم- بوزار قوادري،عباس وشقيقه بالقاسم- الطيب بالعباس محمد- بن ميرة زيتوني- بالحاج بالقاسم - سعيد زيتوني وابن عمه المسمى الزيتون- سعيد زيتوني عبد القادر - رابح بلعباس الجيلالي، هؤلاء كلهم من ناحية جليدة، ولاية عين الدفلى. وأما بقية أسماء الشهداء الآخرين ولا أتذكر أسماءهم بالضبط فهم من نواحي الأخضرية والمدية والبليدة والجزائر وبوفاريك وشرشال والونشريس وتبسة وزكار..

وبعد تقييم خسائر المعركة،وبعد جمع جثث الشهداء، والجرحى الذين لايستطيعون الوقوف بمفردهم،حينئذ نطق أحد الإخوة بالقول:

النابالم

قال صحراوي . آ : عندما زاره مراسل جريدة المجاهد ... بمستشفى الرباط



كنت أحاول وأنا في شبه غيبوبة أن أطفئ بيدي المحروقتين النيران التي كانت تلتهم وجهي.

قال هذا يوم 1960.05.31

(وزارة الاعلام و الثقافة و المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي)

— الطباعة : ألتاميرا روتوبرس مدريد اسبانيا .



وردّ السيد براك محمد على أسئلة المراسل قائلا :

كان ميدان المعركة ملتهبا ، وكان ينبعث من الجو رائحة كريهة ، وإذا بوجهي تلتهمه النيران ، ووقتها زحفت على بطني مثل الثعبان نحو كهف لأخمد اللهب الذي كان يحرق وجهي و يدي ، و لم أفلح في إخماده ، و صار مدفعي الرشاش سخنا مثل النار لم أستطع لمسه .

عن جريدة المجاهد رقم 65 بتاريخ 1960.05.31 .

— بتصرف —

يالخاوة؟ حدث الذي حدث، لاداعي للتساؤل والأسى، الذي يهمنا الآن بالدرجة الأولى هو ماذا نفعل بجثث إخواننا وبجرحانا الأربعة؟ وما نفعل بأسلحة شهدائنا وأسلحة عدونا المرمية هنا وهناك؟؟ وعلى الفور نطق أحد الوافدين العارفين للمنطقة قائلا:

نبحث أولاً يالخاوة عن فؤوس ومجارف في الديار المدمرة لنحفر بها حفرا نواري فيها جثث الشهداء، ثم نحمل معنا ما استطعنا من الأسلحة والذخيرة، وبعدئذ نحمل جريحين على الحصان وجرحين على الأكتاف ، ونتجه بهم غربا نحو مستشفى جيش التحرير الوطني بجبل (كيمل) فماذا رأي الإخوة؟!!

– نطق الإخوة دفعة واحدة بتلهف: رأيك سديد!

– هيا يالخاوة نبحث بحذر عن الفؤوس تحت أنقاض السكنات القريبة منا ؟!!

بسرعة مذهلة توزع الإخوة على السكنات المحطمة، يبحثون عن أي شيء، يحفر الأرض، وماهي إلا بضع دقائق حتى تمكن الإخوة من جمع عدد من الفؤوس والمجارف، وبسرعة شرعوا يحفرون حفرا بجوار هذه السكنات، وإذا بهم يكتشون عدة مطامر عميقة وفارغة، إتفق الجميع على دفن الجثث فيها، وضعنا أكثر من عشرين جثة في المطمورة الواحدة.ثم ردمناها بالتراب والحجارة.

تم كل هذا في حدود الساعة العاشرة ليلا، ساعتها حمل كل منا ما استطاع من الأسلحة والذخيرة وأخفينا مابقي منها في مطمورة ليأخذها جيش التحرير الوطني فيما بعد، بدلا من أن يستولي عليها جيش العدو عندما يتضح النهار، بعدئذ حملنا جرحانا الأربعة الذين لايقدرون على المشي نتيجة جروحهم البليغة. حملنا اثنين على صهوة الحصان،وحملنا اثنين على أكتافنا،وطلبنا من الإخوة الوافدين إلينا بقيادتنا إلى مستشفى جيش التحرير، لبوا طلبنا بصدر رحب، ووقفوا أمامنا وأخذ أحدهم جماح الحصان وقال:

– توكلوا على الله يالخاوة؟ هيا بنا إلى جبل كيمل:: بالأوراس الأشم.

في جبل كيمل

ساروا وسرنا وراءهم متتابعين دون أن نعرف هل نحن نسير شرقا؟ أم غربا؟ ولا إلى أي اتجاه تسير؟! بتنا نمشي ونحن منهوكي القوة من شدة ما ألم بنا طوال النهار من جهة، ومن ثقل الذخيرة والأسلحة التى حملناها فوق طاقتنا من ساحة المعركة من جهة أخرى، بتنا نمشي بصعوبة، ومع هذا فكانت عقولنا وقلوبنا معلقة بجثث إخواننا ولسان حالنا يقول في صمت: أيتها السبخة الأرض الجرداء؟ لله عليك حدثي كل من يقطن بأرضك أو يمر عليها، بأنك تحتضنين شهداء بررة جاء بهم قضاء الله وقدره من قرى وجبال الولاية الرابعة لينالوا مجد الشهادة في ربوعك؟ وقولي لهم بأن جثثهم مدفونة في مظامر سكانك إلى اليوم. استشهدوا من أجل رد الإخضرار الى أرضك المدمرة المهجورة، ورد شرف وكرامة سكانك الطيبين؟

أما أنتم ياسكان السبخة؟ فإذا كتب الله لكم النجاة من ويلات الحرب الضروس، وعشتم استقلال الشعب الجزائري، لله عليكم أرووا لأبناء مابعد الإستقلال ولغيرهم تفاصيل قصة استشهاد هؤلاء المجاهدين؟!!

بتنا نزحف بمشقة، ونحن نمني نفوسنا المتألمة بهذه الأمنيات والمناجاة. إلى أن بلغنا مستشفي جيش التحرير الوطني مع مطلع الشمس، وجدنا به الأخ القائد (سي علي النمر). حينئذ سلمنا أنفسنا المهزورة لإخواننا، وصل جرحانا الأربعة رغم كل مانزف من دمائهم، بسرعة إلتف حولهم الأطباء والمرضون وقدموا لهم الأسعافات الأولية، ثم فحصونا واحدا واحدا، وضمدوا جروحنا الطفيفة، بعد هذا قدموا لنا كمية من التمر والحليب الساخن، إلتهمنا ماقدم إلينا بشره، أثار في نفوس إخواننا الدهشة والغرابة؟ فالجوع كاد أن يفنينا هو الآخر.

تفطن الأخ سي علي النمر، إلى ذلك وأدرك أننا جائعون أشد الجوع، ولحظتها أمر مساعديه بالمزيد من الحليب والتمر، فزادونا بسخاء.

يتكون مستشفى جيش التحرير الوطني هذا من عدة أكواخ مبنية بأغصان الأشجار والديس، وجدنا به أكثر من 400 مجاهد ومدني، مصابون بجروح وأمراض متفاوتة الخطورة، يشرف على علاجهم طبيبان وعدة ممرضين، يقع في منطقة جبلية تمتد على طوال البصر وفي كل الاتجاهات، وهي منطقة محررة ومحرمة على العدو، غير أنها خالية تماما من السكان. مكثنا به ثمانية أيام، حيث اندملت جروحنا واسترجعنا قوتنا ونشاطنا، ماعدا جرحانا الأربعة، فكانت جروحهم بليغة تتطلب وقتا أطول بالمستشفى.

غادرنا المستشفى بعد أن ودعنا مسؤوليه وإخوتنا الجرحى والمرضى، واتجهنا غربا مع سلسلة جبل أريس، تاركين بذلك اخواننا الأربعة بالمشتسفى، بعد أن تركنا أخوينا ظريف أحمد والحشايشي البغدادي بتونس، وتركنا اخوة استشهدوا قرب خط شال وبعد أن دفنا في مطامر السبخة قرب أم البواقي 133 أخا سقطوا شهداء في ساحة الشرف يوم 1958/01/22م [1].

مآل من لا يثق في كل الناس

سرنا مع أعالي سلسلة أريس عدة أيام، كنا نتقدم أحيانا الى الغرب وأحيانا أخرى نعود إلى الشرق. قضينا مدة خمسة عشرة يوما بين مد وجزر، وذلك لأسباب قاهرة. إن سلسلة جبل أريس كانت خالية تماما من وجود الأعداء والأصدقاء وقتذاك، ولذلك أصبحت الحياة بها مستحيلة، إذ تنعدم فيها وقتئذ مقومات الحياة البشرية. إذا لاطعام ... لا مأوى... لا أتصال بالمواطنين، والمجاهدين، لا... لا... لا... ماعدا الثلوج المتراكمة على قممها، ونسيم صقيعها المجمد للدم في العروق.

مشينا عدة أيام بدون مرشد ولا أتصال بقودنا، وبدون ممون يطعمنا، أنقطعنا عن العالم لعدة أيام، لمْ نَرَ أحدا من الناس، ومع هذا لم نكن نفكر في أن ننزل من قمم الجبال الى السفوح والسهول المكشوفة، لأننا اتعظنا يوم 22 يناير 1958

(1) استقيت هذا التاريخ من أحد المجاهدين الذين شاركوا في معركة السبخة المذكورة آنفا. وألقي عليه القبض بالتاريخ المذكور. وهو السيد: معروف عباس الذي لا يزل حيا بخميس مليانة.

بسهوب ناحية أم البواقي يوم استشهاد 133 مجاهدا من صفوفنا. لم نكن نرغب في القيام بمغامرة أخرى ونمشي في المناطق الآهلة بالسكان الجزائريين والأعداء معا؛ حيث مقومات الحياة موجودة تجنبا للإتصال بغيرنا، وكذلك خوفا من هذا وذاك، قررنا أن نسير غربا إلا مع السلاسل والتلال الجبلية ونقتات من موجود نباتاتها، صارت بذرة الطاقة غذاءنا في كثير من أيام التيه، وفي أيام أخرى أكلنا كل حشيش أخضر، عثرنا عليه، سرنا هكذا بين الأمل واليأس، بين الحياة والموت،بين كمين وكمين، نصارع ونتحدى برد الثلوج الشديد،وعضات الجوع القاتلة، ومن حين لآخر كان يسقط أحدنا منزلقا على الثلوج فيسقط الذي يسير أمامه. أحيانا نتسلق قمم الجبال المثلجة ثم ننحدر مع منحدراتها لنصعد مرة أخرى إلى قمة تل أو جبل أخرى، وعندما نصعد نرتاح مدة قصيرة أو طويلة خلف الصخور التي تحجب عنا الرياح والثلوج الباردة- دام زحفنا ليلا ونهارا على هذه الحالة لعدة أيام، كما كنا ننام في العراء،فراشنا الثلج والماء،غطاؤنا السماء الحالكة الممطرة، بلا غذاء بلا حذاء،بلاقوت.. بلا...؟ بلا اتصال بأي إنسان كان، غذاؤنا ومصدر قوتنا إيماننا بالله والوطن وعهد الشهداء،وتبليغ الأمانة إلى قيادة الولاية الرابعة.

كان اتصالنا ومرشدنا في هذه الظروف القاسية إيماننا بخالق الكون، خالق هذه الجبال التي نحن تائهون في أحضانها. كانت رعاية وعناية خالق هذا الكون وكل المخلوقات هي التي تقود خطانا،وتقوي إرادتنا لاسواها طيلة الأيام التي قضيناها من جبل كيمل الى نهاية جبال أريس المطلة على سهول سطيف الشرقية الجنوبية، بهذه الرعاية الربانية تمكنا من الوصول إلي قمة جبل مكسوة بالثلوج ونحن منهارين لانستطيع الوقوف على أقدامنا ولو لمسافة قصيرة، أو هدنا الجوع الذي لازمنا مدة رحلتنا هذه، أنهكنا المشي وشدة البرودة، تشقق أديم أرجلنا، وانسلخت وانتفخت وتورمت، أحذيتنا تمزقت من الأسفل، انخرز بأرجلنا كثير من الأشواك والحصى، وصارت تنزف دما. في هذه الظروف المأسوية القاسية انقطع أملنا في الحياة،والنجاة من الهلاك، وسلمنا أنفسنا للموت البطيء، وصار الموت أقرب منا من الحياة، وأصبح موتنا برصاص العدو أرحم لنا وأفضل من أن نموت ضائعين جائعين، ولو علم إخواننا الذين تركناهم بتونس، وقرب خط (شال)، والذين دفناهم في مطامر السبخة بما يحدث لنا من جوع وآلام ويأس، لدعوا الله لنا مخلصين بأن ينهي حياتنا رحمة بنا وشفقة علينا مما نحن عليه الآن. استلقينا

على الأرض استلقاء المتهالك المحتضر الذي شرع يلفظ أنفاسه الأخيرة، شرع بعضنا يبكي من شدة ما ألمّ به من ألم وبرد، في حين راح بعضنا ينطق بالشهادتين بصوت عال، إنهار الجميع ما عدا إثنان بقيا قويين نشطين: وهما ظريف الجيلالي؛ ومحمد عين الدفلى اللذان بقيا يشجعان المتألمين اليائسين من الحياة،وبحيويتهما تمكنا من إشعال النار بالرغم من غضب الطبيعة. لحظتئذ إلتفت حولها الإخوة ووضعوا أيدهم وسط لهيبها، أحسوا إثرها بعودة الحياة إلى أجسامهم، وبالدم يسري في عروقهم.

صدفة خير من ألف ميعاد

وبالصدفة لفت انتباه الأخ ظريف الجيلالي شيء أبيض ظهر بين أغصان شجرة قريبة من الجماعة، اتجه إليها ليعرف الحقيقة عن كثب، وجد ذلك الشيء الأبيض قفة كبيرة، وفورا تسلق الشجرة ليرى مابداخلها، وإذا بها مملوءة بمزيج من القمح والشعير مغطاة بحزمة من نبات السدرة.

وتحدث المفاجأة السارة،ويصيح بأعلى صوته: تعالوا يا الخاوة.تعالوا؟ هاقد نجانا الله من الهلاك؟! رحمتك يارب؟؟! حينئذ أسرع إليه من كان قادرا على المشي،ءاصعدوا معي، ساعدوني على إنزال هذه القفة المملوءة بالحبوب لنقتات منها اليوم؟ هيا، ياالله، امسكوها معي جيدا، حذار من أن تفلت من أيدينا وتضيع منا رحمة الله وتضيع معها حياتنا؟!، وفي احتراص شديد تمكنوا من إنزالها على الأرض، ثم حملوها إلى المجموعة الملتفة حول النار، ثم تقاسموها بالتساوي، وضع كل منهم ماناب له من مزيج الحبوب في جيبه، وشرع الجميع يلوك الحبوب بأسنانه،ولم نقد طحنه وبلعه لصلابته، عندئذ قام الجيلالي ظريف وصديقه محمد عين الدفلى يبحثان هنا وهناك عن أي شيء يوضع على النار ويحمص هذه الحبوب الجافة الصلبة،علها تلين فيستطاع مضغها وبلعها، وبالفعل تمكنا من العثور على علب الحوت واللحم المصبر مرمية هنا وهناك، علب قديمة مغطاة بالصدأ، لقد تركها جنود العدو على مايبدو يوم قيامهم بعملية تمشيط لهذا الجبل.

أما مافي القفة من حبوب،فهو محصول صيفي لفلاح جزائري يكون قد جمعه من حصاد قطعة أرض صغيرة بقمة هذا الجبل، المهم من كل هذا أننا حملنا هذه العلب وجئنا بها للإخوة وشرعنا نملأها بالحبوب ثم نضعها على النار ونحركها حتى تسود قشرة الحبوب ثم ننزعها ونفركها بأيدينا حتى تزول قشرتها الغليظة ثم نأكلها ووقتئذ صرنا نتلذذ طعمها نوعا ما، كان هذا غداؤنا في ذلك اليوم، به صرنا آدميين بعد أن كنا مثل الحيوانات نقتات من الحشيش الأخضر ومن نباتات الغابة وخاصة نواة (الطاقة).أشجار الطاقة الكثيرة بسلسلة جبل أريس.

حدث هذا في شهر يناير وفبراير من سنة 1958. وبعد تناول الإخوة لما جادت به الشجرة علينا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، قام سي محمد عين الدفلى واتجه إلى أعلى ربوة قريبة من المجموعة،ولما وصل إلى قمتها وقف يستكشف ماحولنا؛ وإذا به يبصر سهولا شاسعة وسكنات تتراءى له من بعيد، ويعود مسرعا الى المجموعة والفرحة بادية على نبرات صوته وهو يقول بتلهف: يالخاوة؟ لقد رأيت شمالنا سهولا بها سكنات، فما رأيكم لو ننزل إليها؟؟ من يدري لعلنا نجد بعض المجاهدين فينقذنا من هذا المأزق الخطير؟ قال هذا وانتظر جواب الجماعة لعدة لحظات،فلم ينطق أحد منا بأي جواب، لأننا لانعرف المنطقة ولا سكانها، بل رحنا بأذهاننا نتذكر ماحدث لنا بسهول السبخة، يوم 1958/01/22. وسكت الجميع برهة من الزمن، وفجأة نطق أحد الإخوة مكسرا جدار الصمت العميق، بقوله: أنا أتطوع للذهاب مع أخي محمد إلى هذه السكنات خير من أن نبقى هنا ننتظر الموت البطيء،،،

الساعة الآن الواحدة زوالا،وقد يكفينا الوقت للوصول الى هناك ثم العودة إلى هنا. وفجأة نطق قائد الفرقة الأخ عنتر وقال: مادمتما مصرين على ذلك فاذهبا على بركة الله. وكونا رجلين شجاعين،واحذرا ثم احذرا من أن تقعا في قبضة العدو ويحدث لكما ولنا مالا يحمد عقباه،، أفهمتما يالخاوة؟ قال المتطوعان: نعاهدكم يالخاوة؟ بأننا سنعود إليكم بما تحتاجونه إن شاء الله أو نموت شهداء جميعا،،

المفاجأة السارة

تمت الموافقة.. وسار المتطوعان نحو أسفل الجبل،وما أن بلغا حجره وإذا بصوت قوي يصرخ فيهما: قف.

- من القادم؟

- إخوانكم.. مجاهدون

- من أية ناحية؟

- من الولاية الرابعة.

تقدما إلينا.. نحن من كتيبة حبا محمد ،

- لم يتحرك المتطوعان من مكانهما،ووضعا إصبعيهما عن الزناد.. تحسبا لما يقوم به الآمرون..

- نعاهدكم بالله ورسوله والشهداء، بأننا مجاهدون مثلكم لاتخافا.. أقبلا إلينا.

- المتطوعان: ارموا أسلحتكم على الأرض، وتقدموا إلينا وأيديكم على رؤوسكم إن كنتم مجاهدين بالفعل..

- وعلى الفور رمى الآمرون أسلحتهم على الأرض،وتقدموا نحو المتطوعين وأيديهم مرفوعة عاليا وهم يقولون.. هانحن قد فعلنا.. لاتطلقا علينا النار.. -حينئذ تيقن المتطوعان من أنهم مجاهدون بالفعل.. وقالا: لاتخافوا.. تقدموا إلينا.. حينها تعانق الإخوة عناق المتحابين المشتاقين الذين لم يروا بعضهم البعض لمدة طويلة، وبعد الاستقبال الحار هذا قال أحد المستقبلين : هيا ياالخاوة معنا إلي مركز كتيبتنا؟؟،امتنع المتطوعان وترددا في الوهلة الأولى وقالا: لا، لن نذهب معكم؟

-المستقبلون: لماذا لاتذهبان معنا؟ أأنتما خائفان منا؟؟!

– المتطوعان: لا، لسنا خائفين منكم الآن ولكننا نخشى من .... ؟!

– المستقبلون: أبعدا عنكما سوء الظن،وثقا بأنكما مع إخوانكم المجاهدين الحقيقين، بهذه الإجابة زال الشك والظن السي، من أذهان المتطوعين،ووثقا من صدق هويتهم،وحينئذ أبديا موافقتهما على الذهاب معهم إلى المركز، ووقتئذ سار الجميع الى أن أتيا (حوشا) كبيرا بعض بيوته مهدمة وبعضها سليم، استقبلهما قائد الكتيبة (حبا محمد) بعد أن أخبرته حراسة المركز بهويتهما، استقبلهما استقبال الأب لأبنائه البررة،وراح يرحب بهما بقوله: ياأهلا وسهلا بإخوتنا؟؟ من أية كتيبة أنتما؟

– نحن من دورية الولاية الرابعة العائدة من تونس، وحدث لنا ماحدث مع العدو قرب أم البواقي، ولكننا لسنا وحدنا في هذا الجبل،ففي قمته إخوتنا البالغ عددهم 32 مجاهدا،وهم في حالة يرثي لها من البرد والمرض والجوع؟ اهتزت فرائص القائد لهول الخبر ووقف مفزعا،ثم توجه إلى ضابط صف وقال له: خذ معك يافلان... مجموعة من الجنود،واحملوا معكم كمية من التمر والخبز،واتجهوا بسرعة إلى إخوانكم في قمة الجبل المحاذيَ لنا؟ إخوانكم في خطر هناك؟ أطعموهم أولا،ثم ساعدوهم على النزول إلينا، ياالله ياالخاوة، سارعوا إليهم؟ بسرعة فائقة حضر أفراد (المجموعة) المجموعة أنفسهم وأحضروا بعض المواد الغذائية واتجهوا بها مسرعين الى قمة الجبل.

في هذا الوقت كانت نفوس الإخوة المتضررة في القمة المثلجة متعلقة بما عليه حال المتطوعين (محمد عين الدفلى وصاحبه)، راجية من الله أن يحفظهما من أي بلاء، ويعودا إلى موقعهما سالمين غانمين، كان هذا تفكير ودعاء الإخوة المتألمين بالقمة إلى أن اقتربت عقارب الساعة الربعة مساء أو أكثر بقليل،وإذا بحارس الإخوة يرى جنودا يقتربون من مكان تمركزهم،وحينها صاح فيهم: قف؟؟ من القادم؟ – جنود جيش التحرير الوطني، جئناكم بالخبز والتمر وتركنا زميليكم مع قائد كتيبتنا (حبا محمد) بالمركز؟؟؟!.

– تقدموا إلينا بعد أن ترموا أسلحتكم على الأرض،وترفعوا أيديكم فوق رؤوسكم عاليا؟؟

– وعلى الفور إمتثل الجنود القادمون للأوامر،وتقدموا إلى أن وصلوا وسط الكتيبة وعندئذ سألهم قائدنا بقوله : من بعثكم إلى هنا؟

- بعثنا قائدنا محمد حبا. وهو مركز مع كتيبتنا في أسفل هذا الجبل، وزملاكم ينتظرانكم بمركزنا؟؟!!

- ماذا يحملان من السلاح؟

- يحمل كل منهما رشاشا صغيرا من صنع ألماني حديث؟؟

- ألديكم دليل آخر على أنكم مجاهدون حقا؟

- نعم، لدينا، أنظروا هذا، أليس هذا علم الجزائر؟ أوليس هذا دليل المجاهدين الحقيقيين؟؟!!

- الآن فقط صدقناكم، تقدموا إلينا، أهلا وسهلا بمجاهدي هذه المنطقة، وعند مصافحتهم لنا أبصروا حالتنا المزرية وتألموا لها ثم انفجروا بكاء وانفجرنا معهم كذلك، إنها لحظات مؤثرة ومثيرة حقا، إنها لا تزول من ذاكراتنا حتى الموت؟!!

إن دموعهم ودموعنا الحارقة هذه، لم تكن دموع الحزن على ما آلت إليه حالتنا الجسمية من ضعف ووهن، ومن قبح ملابسنا المهلهلة الممزقة، ومما كانت عليه نفوسنا من ملامح البؤس واليأس. بل كانت دموعًا تعبر بعمق عن تصميم قوي على مواصلة الجهاد ضد العدو لننتقموا لأنفسنا ولشعبنا أو يصير مصيرنا مثل مصير اخوتنا الذين سبقونا الى مجد الشهادة أو الظفر بالنصر الأكيد.

كان هذا كله سبب إنسياب دموعنا ولاشيء غيره، وبعد هذا اللقاء الأخوي الفياض بالمشاعر والعواطف الإنسانية النبيلة قدموا لنا ما كان في حوزتهم من تمر وخبز، وألحوا علينا بأكله في الحال، لبينا طلبهم وشرعنا نأكل في شره، أثار في نفوس المضيفين الدهشة والغرابة، أتينا على ماقدم إلينا في وقت قصير، وقتها قام المضيفون من أماكنهم وقالوا: لنتوكل على الله ياالخاوة؟ وننزل الى المركز لتأخذوا راحتكم التامة بين إخوانكم بالمركز، حيث الدفء والغذاء، في هذه الآونة بالذات. وبعد تناولنا للخبز والتمر مباشرة بدأت الحياة تدب في نفوسنا، وصارت بشرة وجوهنا الناصعة الصفرة تتحول الى بشرة حمراء، بينما بقيت شفاهنا وأسناننا زرقاء من جراء أكلنا للحشيش ونباتات السلسلة الجبلية لمنطقة (اريس) التي مكثنا بقممها أكثر من خمسة عشر يوما، المهم من كل هذا أن فرحة عارمة غمرتنا حين وجدنا أنفسنا مع المجاهدين الذين نتساوى معهم في كل ويلات الحرب المتمثلة في: الموت، المطاردة، الحرمان، البرد، الجوع، قصف الطائرات، كل هذا من أجل تحقيق هدف واحد، هو رحيل العدو من على أرضنا.

شرعنا نعد امتعتنا للنزول من قمة الجبل البيضاء التي تراكمت عليها الثلوج الى حد هجرة الحيوانات الغابية وطيورها، وأصبح الجبل خاليا من حركات واصوات كل المخلوقات التي كانت تعيش في أوكارها في أمان،، لاطائر، ولا ذئب، ولا.... ولا.... لم يبق فيه إلا صخوره البيضاء، وأشجار الطاقة المرتدية أغصانها لباسا ناصع البياض،ونحن المتهالكين الذين كان الثلج فراشنا وغطاءنا الى حد أنه إذا أراد أحدنا الوقوف لايستطيع بمفرده إلا إذا أعانه أحد الجماعة من الخلف، وصارت عيوننا تسيل دمعا بلا انقطاع، أنوفنا هي الأخرى تسيل مخاطا، انتفخت أيدينا، كادت أرجلنا أن تشل وتموت، صرنا بعد هذا لانحس بوجودنا، ومع هذا كله تشجعنا وبدأنا نقف من أماكننا بصعوبة كبيرة وظهورنا مقوسة من ثقل الذخيرة المحمولة عليها، وأمام هذه الوضعية المأسوية سلمنا للإخوة سلاحنا الثقيل المتمثل في ستة مدافع رشاش من نوع أ. م. ج. عيار 34و 42 ولم يكتفوا بحمل هذا السلاح فقط، بل ساعدوا المتضررين منا أكثر على المشي، انحدرنا من القمة رويدا رويدا، سقط الكثير منا من شدة الإنحدار والتزلق نتيجة الثلج، وصلنا إلى سكنات مهدمة في منطقة محرمة على كل المواطنين الجزائريين، وفي موجة البرد القارسة هذه الأيام إلتجأ جيش التحرير الوطني إلى بعض السكنات التي لم تدمر كلية ليقي أفراده من البرد الشديد الذي دام عدة أيام، وبعد جهد جهيد وصلنا جميعا الى مركز كتيبة (حبا محمد)،أين استقبلنا صحبة زملائه، جزاهم الله عنا خيرا استقبالا أخويا منقطع النظير،مستهلين ترحابهم بنا: يامرحبا وسهلا بأبطال الولاية الرابعة؟! أنتم الآن بين أهلكم وذويكم، وحمدا على سلامتكم، ارتاحوا ياإخوان، لقد وصلنا خبر مواجهتكم الشجاعة للعدو قرب السبخة وتمكنكم من إسقاط عدة طائرات،وقتل الميئآت من جنوده، نعم مافعلتم ياإخوان؟ بارك الله فيكم، والآن أنتم ضيوف مجاهدي الولاية الأولى.

- شكرا جزيلا على ماقمتم به نحونا ياإخواننا، ولن ننسى عملكم هذا مادمنا أحياء، وبعد تبادل كلمات الترحيب والمودة الصادقة سألنا (حبا محمد) بقوله:

- كيف تعرفتم على موقعنا؟

- أجابه قائد مجموعتنا: تعرفنا عليه بفضل هذين الأخوين،مشيرا بيده إلى (محمد عين الدفلى وصديقه) اللذين تطوعا بالذهاب إلى سكان السهول القريبة منكم لإتياننا باتصال هذه الناحية أو بالغذاء من لدن المواطنين بهذه السهول، لأننا لم نلتق بأي إنسان منذ أكثر من عشرة أيام، ولحسن حظهما وحظنا إلتقيا

بدوريتكم صدفة، لأن موقعكم في حضن الجبل لانستطيع رؤيته من أعلى قمة الجبل.

– حبا محمد: السكنات التي كانا يريدان الوصول إليها هي ثكنة كبيرة للعدو، محاطة بمحتشد للواطنين الجزائريين، ولحسن حظهما، بل ولأن الله معهما جميعا وصل المتطوعان إلى نقطة حراستنا فأوقفتهما عن المسير الى مركز العدو؟.

– قمنا بهذه المغامرة ياإخواني لأننا لم نجد اتصالا يوجهنا أو يمونا يموننا، في حين كان الموت يحدق بنا، فالجوع لعدة أيام أو هننا وبرد الثلج الشديد جمد الدم في عروقنا فكان لابد علينا أن نقوم بهذه المغامرة التي بها نحافظ على حياتنا خيرا من أن نموت بدون رصاص، فموتنا برصاص العدو ياإخوان لهو أهون علينا من الموت جوعا ومرضا وضياعا.

حبا محمد: الله دائما وأبدا مع عباده المخلصين في كل مكان وزمان، انزعوا معاطفكم المبللة والبسوا هذه الجافة، أما أنتم ياإخواني فأكثروا من النار ليدفأ إخواننا، وسخنوا الماء ليغسلوا به أيديهم وأرجلهم المتورمة، أما أنت الممرض فنظف وضمد جروح وشقوق أطرافهم.

بسرعة فائقة أحضروا كل ماكان في حوزتهم، بل وأكثر من هذا نزعوا بعض ثيابهم وألبسونها، لقد منحونا كل عطفهم وحنانهم شفقة وإكرامالنا، ساعتئذ أحسسنا وكأننا بالفعل مع أهلنا وفي ديارنا، كان حبا محمد وهو يتفحصنا يقول: أنتم ياإخواني لفي أمس الحاجة إلى استراحة تامة لمدة أسبوع كامل لتسترجعوا قوتكم وتندمل جروحكم، فأنتم بحق تستحقون من قيادة جيش التحرير الوطني كل العناية والتشجيع: لأنكم قمتم برحلة طويلة وشاقة، تصارعتم أثناءها مع الأعداء، مع الجوع، مع البرد، مع المرض مع...؟ لقد أجهدتم أنفسكم الى درجة لاتطاق، وعليه فابقوا معنا حتى تسترجعوا قوتكم المعتادة، فنحن نطعمكم ونرعاكم حتى يفرج الله عنا وعليكم هذه الضائقة الشديدة.

ـ قضينا ثمانية أيام بلياليها محفوفين بعناية فائقة ومحبة صادقة، تبادلنا خلال هذه الأيام كل المعلومات والأخبار المتعلقة بالمناطق التي مررنا بها، ونقصص على بعضنا البعض الوقائع البطولية التي وقعت بمناطق الولاية الرابعة والأولى، هدأت موجة البرد القارسة وتحسن الجو، وأحسسنا معه بالبهجة والسرور، وأحسسنا بعد هذه الأيام وكأنه لم يقع لنا أي مكروه.

وفي اليوم التاسع، وبعد أن تناولنا غدا منا، قام القائد (حبا محمد) من مكانه وقال: حان الوقت يا أبناء الولاية الرابعة لتستكملوا رحلتكم، لقد ارتحتم واسترجعتم قوتكم المعتادة على ما أعتقد؟ فاستعدوا للرحيل مساء هذا اليوم صحبة هذين الأخرين ليوصلاكم الى حدود الولاية الثالثة، وحينئذ شرعنا نعد أمتعتنا إلى أن حان وقت صلاة العصر حيث أديناها جماعيا. قام إثرها القائد حبا محمد وطلب من الجميع حمل السلاح والتجمع وراء السكن جنوبا،وماهي إلا لحظات حتى كان الحضور كاملا ومستعدا، حينها تقدم قائد محموعتنا وسط الحاضرين ووقف ينظر يمينا ويسارا ثم قال: تحية للقائد (حبا محمد) وأفراد كتيبته أقول للجميع: أستعد؟ السلاح ارفع؟ وبعد لحظات من الصمت العميق والتأمل الهادئ الجميل قال: الراحة.

إنها للحظات خالدة سيطرت علينا جميعا، لحظات يحيي ويودع فيها المجاهد أخاه المجاهد بكل إكبار وإجلال، إنها لحظات تعبر بصدق عن وحدة جيش التحرير الوطني من شرقه إلى غربه، من شماله الى جنوبه، من أجل تحقيق هدف واحد، والتضحية من أجل واحد، هو الشعب الجزائري الأبي.

وبعد تبادل التحية العسكرية،ألقى (حبا محمد) خطابا هاما لازلنا نتذكر منه مايلي:

باسم الله الرحمن الرحيم،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد: أيها الإخوة الكرام؟ لقد عشنا معا هذه الأيام القاسية، قساوة برد الثلوج ومقاتلة أعدائنا، ولكن ومع هذا فإننا لم ولن تثني من ارادتنا وعزمنا على تحرير الوطن شدة البرد ولا كثرة العدو وقوة عتاده، ولن يوقفنا كل هذا على تحقيق مايصبو إليه شعبنا الذي لم يبخل على ثورته بالمال والرجال،وبكل مايكسب، بالرغم مما يعانيه من ضنك في العيش،ومن تنكيل وتعذيب وسجن واعتقالات، وبإذن الله سننتصر على عدونا مهما طالت الحرب، ومهما كانت التضحيات. لأن الله وعد عباده المؤمنين بالنصر المبين في قوله :(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم). صدق الله العظيم.

وإلى أن نلتقي بكم في اليوم الذي ترحل فيه أقدام الهمجيين إلى ماوراء البحر وإلى الأبد، اليوم الذي يستعد فيه شعبنا سيادته ومجده، وإذا نلنا مجد الشهادة وخلود الجهاد المقدس قبل هذا اليوم، فسنلتقي في جنات الخلد إن شاء الله، وما

ذلك على الله بعزيز، وفي الختام أتمنى للجميع دوام الصحة والعافية مع تبليغ سلامي وسلام مجاهدي هذه الولاية إلى مجاهدي ومواطني الولاية الرابعة، وقبل أن نفترق على بركة الله، هيا بنا جميعا ننشد (نشيد جزائرنا يابلاد الجدود) ؟ نشدناه سويا بصوت مرتفع فياض بالحماس، جعل عيون الكثير منا تذرف الدموع، وبعد تعانقنا وتقبيلنا لبعضنا البعض، وتصافحنا بحرارة والكل يقول: طريق السلامة، الله معكم إن شاء الله.

غادرنا القائد وأفراد كتيبته في حدود الساعة الرابعة مساء، كانت السماء وقتئذ مغيمة بغيوم دكناء جعلت النهار أشبه بالليل، الشيء الذي ساعدنا على السير في وضح النهار دون خوف من طائرات العدو، أمسينا غشي وبتنا كذلك إلى أن بلغنا جبل/ستيلي وجبل الشلعاع وهما إمتداد للأوراس وطلوع الشمس، تمركزنا في موقع استرتيجي للغاية، قضينا به نهارنا،وعند مغيب الشمس انطلقنا بالأتجاه سلسلة من جبال الأطلس الصحراوي،ومنها جبل أبو طالب وكان لابد علينا أن نقطع مسافة طويلة مكشوفة قبل أن يتضح النهار، بتنا سائرين وكأننا نجري جريا، إلى أن أتينا هضبة بها صخور كثيرة مختلفة الأحجام ومطلع الفجر، ظللنا بها لاصقين مختبئين وراء الصخور حتى أسدل ظلام الليل رداءه، عندئذ انطلقنا صوب جبل آخر ... بتنا نهرول إلى غاية بزوغ الفجر،توقفنا في موقع هو أشبه بهضبة، قضينا نهارنا بها، وعند نزول الظلام سرنا متوجهين نحو ناحية المسيلة في أرض شبه صحراوية،انتابنا ونحن نسير فيها خوف شديد، بتنا سائرين في حذر وخوف إلى أن بلغنا سكنات متناثرة هنا وهناك قبيل طلوع الشمس بقليل، التقينا صدفة ببعض ساكنيها وطلبنا منهم السماح لنا بالتخفي في منازلهم إلى غاية غروب الشمس، لبوا طلبنا بصدر رحب، إستضافونا استضافة عربية أصيلة في جو من المودة والمحبة الخالصتين لله والوطن، قضينا نهارنا في منازلهم محفوفين بالرعاية والعناية إلى مابعد صلاة المغرب، ووقتئذ تناولنا عشاءاً ثرياً انطلقنا بعده إلى ناحية المسيلة في دجى ظلام الليل، كنا نرى ونحن نسير بسرعة كبيرة أضواء مدينة المسيلة وماحولها من القرى إلى أن بلغنا مصب سد وادي القصب القريب من المسيلة. مصب غزير ماؤه وعميق، وقفنا على ضفته الشرقية في حيرة من أجتيازه، فالماء الغزير لايرحم مثل العدو، إلتجأنا إلى المواطنين القاطنين قرب الضفة،وطلبنا منهم مساعدتنا على عبوره، جاءوا معنا وأعانونا على قطعه، ولولاهم ماقطعناه ولأصبح النهار علينا في أرض مكشوفة يتمكن العدو من رؤيتنا ثم القضاء علينا بسهولة.



— صورة تذكارية للقاء ترحيبي أخوي بين قيادة الولاية 4 و 5 بالونشريس (أوت 1959)
(من اليسار : طارق قائد المنطقة 4 للولاية 5 — وعبد السلام كاتب الولاية وحسن قائد
المنطقة 3 من الولاية 4) — الجزء الاول من التقرير السياسي المقدم للملتقى الوطني 4

حدث هذا في حدود الساعة الحادية عشر ليلا بالتقريب، ولما وصلنا إلى الضفة الغربية توقفنا لنأخذ قسطا من الراحة ولنتدبر اتجاهنا الموالي، وعند الساعة الصفر سرنا مسرعين في اتجاه الجبال الشمالية من المسيلة والمتاخمة لحدود الولاية الثالثة وصلنا مع بزوغ الفجر إلى أحد الجبال.

في الولاية الثالثة

توقفنا بقمة جبل صحري، وحين طلعت الشمس في كبد السماء قام مبعوثا (حبا محمد) وقالا: ياالخاوة، خذوا راحتكم هنا. أما نحن فسنبحث عن اتصال الولاية الثالثة-في تلك البيوت القريبة من الجبل، لاتخافوا؟ سنعود إليكم في أقرب وقت ممكن، قالا هذا ثم اتجها إلى بيوت مقابلة لنا، بقينا يقظين حذرين مدة غيابهما إلى أن عادا إلينا في حدود الساعة الثالثة مساء، وأخبرانا بأنهما قد أبلغا اتصال الولاية الثالثة،وأنه سيأتينا مع غروب الشمس بكل المعلومات الخاصة بنشاط العدو بالناحية، ثم قيادتكم إلى مواقع جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة.

بقينا ننتظر إلى أن نزل ظلام الليل،وإذا بشخصين يتقدمان نحو موقعنا شيئا فشيئا حتى لم يبق بيننا وبينهما إلا بضع أمتار وتوقفهما حراستنا قف؟

– من القادم؟

إخوانكم من مجاهدي الولاية الثالثة.

– تقدما إلينا، نحن دورية من الولاية الرابعة، لا تخافا تقدما؟

تقدم المجاهدان بخطى ثابتة، استقبلهما قائد مجموعتنا (عنصر عبد القادر) وبعد المصافحة والترحيب سألهما بقوله: لماذا جئتما إلى هنا؟

– جئنا مبعوثين من قبل قائد كتيبتنا القريبة منكم، كنا على علم بوجودكم هنا منذ الصباح الباكر، مخبرو الناحية أعلمونا بوصولكم إلى هذا المكان،ولا تتعجبوا من هذا فعيون الثورة في كل مكان في هذه الناحية، المهم من كل هذا هو أن قائدنا يدعوكم إلى تناول العشاء سويا مع كتيبتنا بإحدى المداشر، هيا سيروا معنا على بركة الله، فأنتم ضيوف مجاهدي ومواطني هذه المنطقة؟

سارا وسرنا متتابعين من وراءهما إلى أن وصلنا دشرة أين استقبلنا مجاهدوا ومواطنوا هذه الجهة بكل ترحاب؛ حيث تبادلنا الأخبار عما عشناه وشاهدناه أثناء رحلتنا وأخبرونا كذلك على ما حدث بهذه المنطقة من تدمير وقتل وتشريد لمواطني الولاية الثالثة. وبعد هذا تناولنا العشاء وكان طعاما لذيذا ولحما طريا شهيا لم يشبع منه أفراد فصيلتنا رغم كثرته، لأنهم لم يأكلوا مثل هذا الطعام منذ أيام عديدة.

وفي حدود الساعة الواحدة ليلا أحضر لنا سكان الدشرة فطور اليوم الموالي وكان خبز الفطير وإناء مملوء بزيت الزيتون، حملناه معنا وغادرنا الدشرة، وصلنا قبل الشمس إلى جبل إستراتيجي يشرف على كثير من القرى والمداشر وعلى كل الطرق والممرات المؤدية من وإلى مراكز العدو، أخذنا أماكننا وكانت حصينة للغاية. قضينا الفترة الصباحية بهذا المكان الهادئ الجميل إلى منتصف النهار حيث قام قائد الكتيبة المحلية من مكانه ووزع مجموعتنا أربعا أربعا وأعطى لكل أربعة صحنا صغيرا مملوءاً بزيت الزيتون ورغيفا بين إثنين، عشنا بهذه الكيفية خمسةأيام، نتناول العشاء في المداشر والفطور في النهار على قمة من قمم جبال الولاية الثالثة وما أكثرها؟.

وفي اليوم السادس وبالضبط عند الساعة الخامسة مساء طلب قائد الكتيبة المحلية تجمع الكتيبتين في مكان واحد، تجمعت الكتيبتان بسرعة فائقة،حينها وقف أمام الحضور المهيب وألقى خطابا حماسيا جاء فيه على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

باسم الله الرحمن الرحيم. يا الخاوة؟ إسمحوا لنا لأننا لم نقدم لكم الشيء الكثير، والأهم من هذا في نظري هو أننا عشنا معا أياما خالدة جمعت إخوة الإيمان والجهاد، وإنني لأرجو الله العلي القدير أن تصلوا إلى منطقة عملكم وأنتم قد أتممتم مهمتكم الشاقة هذه بنجاح، كما أرجو منكم تبليغ سلامي إلى كل المجاهدين والمواطنين بولايتكم، وهذه رسالة بلغوها للأخ (سي الأخضر) مسؤول المنطقة الأولى من الولاية الرابعة والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وفي الحال رد عليه قائد فصيلتنا بالكلمات التالية: باسم الله الرحمن الرحيم، باسم شهدائنا الأبرار، وباسم إخواني الحاضرين أقدم إليكم ولمواطنيكم الكرام شكرنا الأخوي النابع من صميم ثورتنا المباركة، ومن تعاليمنا الإسلامية السامية

على ما تفضلتم به علينا من كرم الضيافة وحسن الرعاية مدة إقامتنا بينكم، فبارك الله فيكم، وأيديكم بنصره على عدو شعبنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد الإنتهاء من مراسيم التوديع هذه أمر قائد الكتيبة المحلية مجاهدين إثنين من صفوف كتيبته بقيادتنا صوب تراب الولاية الرابعة عبر سلسلة جبل (بوقعدون) ثم جبل (ديره)، كانت الساعة وقتئذ السابعة مساء، سرنا طوال الليل، توقفنا قبيل شروق الشمس بجبل كثيف الأشجار، نمنا به إلى غاية منتصف النهار، نمنا نوما عميقا وكأننا في بيوت دافئة مريحة، لقد تعودت أجسامنا بالفعل تحمل أحوال الطقس ومتغيراته، وهبنا الله المناعة ضد المرض والزكام، والقدرة على مقاومة البرد وصقيع الجليد، وبعد مغيب الشمس تحركنا باتجاه الغرب وبالضبط إلى جبل (بوقعدون) مارين بمنعرجات جبلية مخيفة إلى أن وصلناه في ساعة متأخرة من الليل، ضربنا الحراسة على مواقعنا ونمنا بالتناوب، فالمنطقة هذه محرمة هي الأخرى، ولا يمشي فيها نهارا إلا من يحمل الموت بيده، أو يريد الموت من أجل قضية مقدسة مثلنا.

قضينا يومين كاملين بهذا الموقع، انطلقنا صوب مركز جيش التحرير الوطني بجبل (ديرة)، بتنا نزحف وسط ظلام دامس لنصله مع طلوع الشمس، وجدنا به الأخ (سي نايف)، الذي «لا يزال حيا يرزق بالبليدة».

الذي كان يشرف وقتئذ على المنطقة الأولى، استقبلنا كما استقبلتنا كل قيادات مراكز جيش التحرير التي حللنا بها بفيض من الحفاوة والرعاية، قضينا نهارنا مع (سي نايف) حتى مجيء الليل، ووقتئذ ودعنا مبعوثا (الولاية 3) ووعدناهما وداع الأخوة الطاهرة وحملناهما تبليغ تحياتنا إلى قائد كتيبتهما ولجميع أفرادها.

مكثنا مع (سي نايف) ثلاثة أيام، كان كثير الفكاهات والنوادر، ومن فكاهاته؛ أنك إذا قلت بصوت مرتفع: أش نايف العدو منه خائف، لحظتها يقفز واقفا متحفزا، وهو يقصد بهذه الحركة السريعة إخراج الحاضرين من جو الملل واليأس إلى جو المرح والضحك والتفاؤل.

وفي مساء اليوم الثالث غادرنا مركز (سي نايف) واتجهنا صوب جبال الأخضرية سرنا يومين مع التوقف، كان الجو ربيعيا دافئا، تمكنا من الوصول إلى

جبال الأخضرية مع غسق الفجر، أجبرتنا على الوقوف حراسة أحد مراكز المجاهدين بالمنطقة، وجدنا به ضابط المراقبة الأخ (سي عمر بن محجوب) المسمى يرمذاك بـ: (الكنترول)، وهو لا يزال حيا يعمل محاميا بمدينة شلف إلى حين كتابة هذه المذكرة.

استقبلنا جزاه الله عنا خيرا كما لو كنا أبناءه الذين رجعوا إليه بعد غياب طويل، حيث ضمنا إلى صدره مقبلا إيانا وهو يشكر ويثني علينا على أداء مهمتنا الشاقة، بعد هذا أعطيناه تقريرا مفصلا عن كل الأحداث التي تعرضنا لها أثناء ذهابنا إلى تونس والرجوع منها، وبعدئذ قام (سي عمر بن محجوب) بفرش غطاء على الأرض ثم أمرنا بإفراغ كل الذخيرة التي كنا نحملها في أكياس على ظهورنا، أكياس ظلت لاصقة بظهورنا منذ انطلاقنا بمركز الريبية بالتراب التونسي إلى حين إفراغها على الفراش أمام مراقب الأسلحة وتوزيعها الآن بجبال الأخضرية، كان يحمل كل منا من 500 إلى 900 طلقة رصاص، بغض النظر عن الرصاص الموجود في أحزمتنا، وست رشاشات من نوع (أ.م.ج) عيار 34 و42.

وبعد أن أفرغنا الذخيرة وسلمنا له الرشاشات الست، شرع يوزعها على المناطق الثلاث المكونة للولاية الرابعة يومذاك، وذلك بملء رحى يديه بالرصاص ثم يقول: هذا نصيب المنطقة الأولى، وهذا نصيب المنطقة الثانية، وهذا نصيب المنطقة الثالثة إلى أتى على توزيعها بين المناطق الثلاث بالتساوي، ثم التفت إلى الرشاشات الثقيلة ووزعها كذلك، إثنتان لكل منطقة، بعد هذا أمرنا بالإستراحة بالمركز لعدة أيام لنرتاحوا جيدا من عناء المشي لعدة أشهر.

قضينا بجبال الأخضرية أربعة أيام، وفي اليوم الخامس عاد إلينا (سي عمر بن محجوب) وتفقدنا واحداً واحداً ثم وقف وسأل: من منكم من المنطقة الأولى؟ وعلى الفور خرجت مجموعة من الفصيلة وقالت: نعم، ثم استطرد سائلا: من منكم من المنطقة الثانية؟ خرجت مجموعة أخرى وقالت: نحن منها، ثم أضاف سائلا: من المنطقة الثالثة؟ قمنا نحن الرواة لهذه القصة، وقلنا نحن منها، ثم أردف آمرا بقوله: أبناء المنطقة الثانية والثالثة فابقوا هنا إلى يوم وصول (كوماندوا) الولاية الرابعة يومئذ ترتحلون معه إلى مناطقكم، فهو سيصل مساء اليوم أو مساء يوم الغد، ألزموا أماكنكم حتى يصل الكوماندوا عما قريب إن شاء الله.

خاتمة المطاف

في جبال الأخضرية كانت خاتمة مطاف رحلتنا المثيرة،والتي دامت ستة أشهر تقريبا ، في هذه الجبال تفرقت بنا السبل،وانطلق كل فوج إلى منطقته التي انطلق منها في بداية الرحلة، حدث هذا حين وصل إلينا الكوماندو ثم قفل راجعا إلى منطقة عمرونة والونشريس، لا ننسى أبدا تلك اللحظات التي وصل فيها الكوماندو بقيادة سي محمد رايس، وحين أبصر الجيلالي ظريف وأقبل إليه مسرعا وراح يعانقه ويقبله بشوق شديد، ولا غرابة في ذلك؛ لأنهما كانا صديقين منذ طفولتهما ، وما فعله بصديقه الحميم هو ما فعله مع بقية العائدين من الرحلة، ثم راح يسألنا عما حدث للإخوان الغائبين من صفوفنا بقوله: أين فلان؟ وفلان؟ و..؟ و...؟ تشجعنا وأخبرناه على حقيقة أمرهم، لحظتها وقف في خشوع وتلا قوله تعالى وعيناه تذرف الدموع (إنا لله وإنا إليه راجعون) ، وقوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهد الله عليه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) ، صدق الله العظيم.

سرنا صحبة فرقة الكوماندو في اتجاه الونشريس مرورا بسلسلة جبل الشريعة، فجبل بوزقزة،ثم عرجنا غرب مدينة المدية قاصدين سلسلة جبل اللوح،ثم سلسلة جبال عمرونة التي وصلناها في اليوم الخامس، ففي عمرونة التقينا بالكتيبة الحسنية والكريمية في مكان إستراتيجي للغاية. مكثنا به ثلاثة أيام، روينا خلالها لأفراد الكوماندو والكتائب والفصائل كل ما عشناه وشاهدناه أثناء رحلتنا ذهابا وإيابا.



ـ صورة تذكارية لثلاثة ضباط ج . ت . و . ـ من اليمين إلى اليسار : ـ الرائد شيب الطيب من الولاية الخامسة ـ العقيد : بونعامة محمد قائد الولاية الرابعة ـ الدكتور : فارس يحيى طبيب الولاية الرابعة . (أخذت الصورة من تقرير الملتقى الجهوي الرابع لتسجيل وقائع و أحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة الجزء الاول : التقرير السياسي)

تهنئة قائد الولاية

في صباح اليوم الرابع من وصولنا لجبل عمرونة،وصل قائد الولاية (سي محمد بوقارة) صحبة (سي محمد بونعامة)، والمسؤول العسكري (سي العيد)، وعلى جناح السرعة أمر بتجمع كل الفصائل في مكان واحد، تجمعت هذه الأخيرة بسرعة فائقة، تقدم إلى الحضور وشرع يتفقد أفراد الفصائل واحدا فواحدا، وحين وصل إلينا نحن الرواة أمرنا بالخروج من الحضور المهيب؛ خرجنا ووقفنا بجانبه، التفت إلينا ثم التفت للجميع وقال فيما معناه: بسم الله الرحمن الرحيم، أيها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله وبعد: باسم الشعب الجزائري وباسمكم جميعا أهنئ هؤلاء الإخوة الشباب (مشيرا إلينا بيده) على قيامهم خير قيام بالمهمة الشاقة التي كلفتهم ثورتنا المباركة بتنفيذها، وأهنئهم كذلك على العمل البطولي الذي قاموا به في 1958/01/22 بناحية البيضة قرب قرية (لاكروبير)، إنكم يا إخواني وبدون مبالغة قد رفعتم هامات المجاهدين والشعب الجزائري بمواجهتكم الشجاعة النادرة لجحافل العدو في منطقة مكشوفة شبه عارية طوال يوم كامل.

أيها الإخوة الأحرار. هنيئا لكم، وهنيئا لشعبنا الذي يرقب خطاكم بإعجاب، لحظة بلحظة، وهو يعلق عليكم كل آماله وأمانيه في قهر العدو ودحره من على أرضه الطاهرة وإلى الأبد، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد تهنئتنا هذه رخص لنا بعشرة أيام للراحة والإستجمام، قضينا هذه الأيام في راحة تامة تمكنا أثناءها من زيارة من بقي حيا من أسرنا، حدث هذا في النصف الأخير من شهر أفريل سنة 1958، وبعد أن أنهينا عطلتنا التشجيعية المذكورة آنفا عدنا إلى فصائل الكوماندو من جديد بجبال عمرونة، وفي بداية شهر ماي 1958 خضنا معركة الأجمال الشهيرة التي دامت عدة أيام بمعية الكتيبة الحسنية والكريمية، وبعد نهايتها مباشرة وزعنا (سي محمد رايس) صحبة المسؤول العسكري (سي العيد) على النحو التالي: رابح بلعباس المدعو الشيخ، عنصر عبد القادر المدعو عزيزو، سي عبد القادر الونشريسي وكلفهم

بقيادة خمسة أفواج من جيش (بالحاجيست) الذي انضم إلى جيش التحرير الوطني في اليوم الثاني من شهر ماي 1958 والتوجه بها إلى المنطقة الرابعة من الولاية الرابعة، وبالضبط إلى جبال الظهرة.

إلى المنطقة الرابعة

إنطلقنا بالأفواج الخمسة صوب جبل دوي المحاذي لمدينة عين الدفلى مع غروب الشمس، بلغناه بعد صلاة الفجر، مكثنا به حتى نزول ظلام الليل ثم تحركنا نحو جبل زكار الناحية الأولى من المنطقة الرابعة، سرنا تحت ظلام الليل، قطعنا المسافة الفاصلة بين جبل دوي وجبال الظهرة، مارين بين مراكز العدو ونقاط حراسته، المقامة حول السكة الحديدية وجسر وادي الشلف، وضيعات المعمرين، بالجهة، اجتزنا المنطقة الخطيرة بسلام، وصلنا إلى ناحية (بدا) المطلة شمالا على ناحية عين الدفلى، وعن طريق الصدفة التقينا بالأخوين (سي عمر بن رمضان قائد كتيبة صحبة نائبه سي نور الدين بوركايب اللذين لا يزالان على قيد الحياة، الأول بالجزائر العاصمة والثاني بمدينة حجوط.. سلمنا لهما ثلاثة أفواج من جيش (بلحاجيست)[1] ثم اتجهنا بفوجين غربا وبالضبط نحو الناحية الثالثة التي تشمل ضواحي جبل بيسة وتنس وبني حواء وواد سلي وأبو الحسن، قاصدين الكتيبة الحميدية التي كان يترأسها يومذاك الأخ سي نور الدين رحمه الله، وجدناها متمركزة شمال مدينة الشلف. وهنا سلمنا لها الفوجين. وسلمنا لها أنفسنا وأسلحتنا معا بما فيها رشاش من نوع (أ.م.ح 42) الذي حملة الأخ عنصر عبد القادر المدعو عنتر من تونس إلى ضواحي مدينة تنس، ومن يومها بقينا نعمل في صفوف الكتيبة الحميدية إلى حين إعلان وقف إطلاق النار ليلة 19 مارس 1962.

في هذه المدة خضنا[فيها]عدة معارك. نذكر أهمها وأنجحها على التوالي: (كمين تازعنونت) الذي تمكنا فيه من إبادة كتيبة كاملة وأسر 19 معتديا، ومعركة مدينة تنس في وضح النهار.. و(معركة تاطويلت الشهيرة) و(معركة أولاد دربول) و(معركة سيدي مروان) و(معركة سيدي عبد الرحمن الشهيرة)

1- سمي هذا الجيش باسم: (جيش بلحاجيست)، نسبة إلى إسم مكونه وقائده. «بلحاج الجيلالي عبد القادر». الذي أشرف على تكوينه في بحر سنة 1956 بالمناطق السهلية القريبة من مدينة العطاف ووادي الروينة وزدين. انضم هذا الجيش إلى جيش التحرير الوطني في بداية شهر ماي 1958 بعد أن قطع رأس قائده. وحمله في كيس وبعلمه لقيادة الثورة بالمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة.

و(كمين واد سلي) على الطريق الوطني رقم 4 وكثير غيرها لاداعي إلى سردها كلها..

أما أنا (ظريف جيلالي) وصديقي محمد بن الشانبيط،فقد أُدمجنا في صفوف الكوماندو التابع للولاية الرابعة حيث خضنا معارك طاحنة عبر تراب الولاية، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر المعارك التالية: معركة باب البكوش بالونشريس/ معركة بطيحة/ وعمرونة/جبل اللوح/معركة جبل بوزقزة/ معركة أولاد بوعشيرة/ معركة واد المالح/جبل بوقرونو/.

حين إعلان وقف القتال

وحين دعمت القيادة العليا للثورة الولاية السادسة بالجنوب في أواخر 1959 ارتحلنا إليها بأمر من القيادة العامة،أين خضنا معارك ضارية، ضد العدو وضد جيش بلونيس بناحية جبل كحيل وأولاد جلال وناحية الجلفة، بقيت بهذه الولاية إلى أن بزغ علينا قصر النصر المضيء، وأشرقت علينا شمس الحرية، إلى حين إعلان وقف إطلاق النار ليلة 19 مارس 1962، يومذاك عدت إلى منطقي للمرة الثانية كبقية زملائي البعيدين عن مناطقهم، انطلقت وبالضبط إلى المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، أين قريتي - أهلي، إخوتي، أحبتي، تشوقت لرؤيتهم يومئذ أكثر من أي وقت مضى، سلكت طرقا ملتوية أسير أحيانا وأجري أحيانا أخرى، قبلت كل من وجدته في طريقي من الجزائريين، رجال، شيوخ، أطفال، تعبيرا عن فرحتي العارمة، كنت أريد أن أصل يومها في أقرب وقت لتكتمل بهجتي بالنصر الأكيد مع أفراد أسرتي لتكون فرحتهم أكثر بالنصر وبعودتي سالما، وصلت إلى مشارف قريتي وعرشي بأولاد الشيخ بدائرة جليدة، أين استقبلني من بقي فيها من السكان بدموع الفرحة وبدموع الحزن والأسى في آن واحد، علمت منهم بأن معضم رجال العرش قتل وفُقد ولم ينج منهم إلى قلة قليلة نزحت إلى خميس مليانة تسكن أكواخا قصديرية، من ضمنها أبي العجوز الذي عذّب وسجن مرارا من أجلي.

«ديار دوّارنا»

تركت مستقبلي واتجهت إلى ديار أبي وعمومتي المجاورة أبحث عن ذكريات طفولتي وشبابي، وجدتها «قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا»، وقفت جامدا في مكاني، مبهوتا ونظراتي تجوب أنقاض وردم سكنات عرشنا، فكأن قنبلة «هيروشيما» حلت بها ودمرتها عن آخرها. منذ أمد بعيد، صارت خرابا بعد أن كانت تزخر بالحياة والأنس والعيش الرغيد، تألمت لهذا كثيرا.. وحزنت في هذه اللحظات، لكوني أصبحت لا دار ولا دوار، لا أم، ولا أب، ولا.. يضمونني إلى صدورهم ويقبلونني، فرحة بعودتي منتصرا غانما، بعد غيابي الطويل عنهم.. لا أخ، لا أخت، لا أبناء، عمومتي وقريتي، يعانقونني وأعانقهم من شدة الشوق لرؤية بعضنا البعض، لقد قُتل من قتل، وزج من ج في السجون والمعتقلات، لقد قتل منظر قريتي والقرى المجاورة نشوة النصر العارمة التي حملتها في نفسي من بعيد، واستبدل ابتسامة عيني وفمي بمسحة الحزن والكآبة، تأملت موقفي الجديد هذا عدة دقائق، ثم ألقيت بنفسي على الأرض ورجعت بي الذاكرة إلى أيام صبلي وطفولتي المبكرة حتى أخذني النوم على حين غفلة.

نمت على أرض قريتي المدمرة خير من أن أنام عليها وهي قائمة آهلة بالسكان وخيراتها مستغلة وأهلها محتقرون،. إستشهادهم خير لهم من بقائهم أحياء، وهم عبيد لعدوهم البغيض، فالموت من أجل رد الشرف والعزة هو مجد الحياة وخلودها، والإستكانة للطغاة الظالمين، هي المذلة والمهانة.

كنت أمني نفسي المتألمة بهذه الخواطر وأنا أغطّ في نوم عميق، وإذا بي أحسّ بلمسة على رأسي، وأستفيق حينها فزعا قائما. وإذا بشيخ طاعن في السنّ يقف بجانبي وهو يحجب وهه ببرنوسه ويبادرني قائلا:

– يومك سعيد يابني!

– وأنت أسعد يا عماه!. أأنت من سكان هذه الديار المهدمة يابني؟ يسألني الشيخ..



صورة لأبشع التعذيب لإمرأة عارية معلقة، جزاء مشاركتها في تحرير وطنها ومجتمعها

الشعب الجزائري

- أي.. نعم يا عماه..

- إنني لا أتبينك تماما يا هذا، فقد كلّ بصري ولم أعد أرى جيدا..

- نعم، أو تعرف أهل هذه الديار يا عماه..؟

- نعم يا بني.. أعرف كبيرهم وصغيرهم، أعرفهم جميعا، ولكن..؟

- أتعرف الحاج إبراهيم وأخاه موسى؟

- نعم أعرفهما وأعرف ذريتهما..

- أين هما الآن يا عماه؟؟

- الحاج إبراهيم وعائلته في مدينةخميس مليانة، وقد سمعنا بأن إبنه الوحيد الجيلالي إلتحق بالمجاهدين سنة 1956 ولم يعرف عليه أي خبر إلى حد الساعة، فهو في قائمة المفقودين من العرش.

- لا، لا.. يا عماه، فها أناذا ظريف الجيلالي إبن الحاج إبراهيم.

- هذا أنت الجيلالي بالفعل؟؟!

- نعم، أنا هو الجيلالي بعينه،.. بلحمه ودمه..

- الحمد لله على سلامتك يابني.. وراح يضمني إلى صدره ويقبل بشدة على وجنتي وهو يقول: حمدا لله يارب العالمين.. حمدا لك.. أنت ضيفي هذه الليلة وسأرسل حالا رسولا إلى مدينةخميس مليانة ليبشر أباك وإخوتك بعودتك وبوجودك عندي وليصطحبه إلى هنا ونتعشى معًا إن شاء الله.. هيا معي..

سار أمامي على مهل إلى أن وصلنا إلى منزله، وفورا أمر بامتطاء الحصان وانطلق مسرعا إلى مدينة خميس مليانة ليبشر أبي ويأتي به الليلة. كانت الساعة وقتئذاك الثانية زوالا. جلست مع الشيخ في دار الضيافة نسأل بعضنا بعضا عما حدث حتى أدلهمّ ظلام الليل. كان خاطري وقتئذ مشتغلا أكثر بوصول أبي، فالأوضاع في الأيام الأولى من وقف القتال لا تسمح بالتحرك الحر.. في هذه الآونة.. بالذات انفجرت كلاب الشيخ نباحا متتاليا لاقتراب إبنه وأبي من المنزل. حينها خرجت مع الشيخ لاستقبال أبي.. أبصرته وأبصرني. طرت عليه أعانقه ويضمني إلى قلبه وهو يقول، الحمد لله. الحمد لصاحب الحمد.. لطفك يا رب، ثم دخلنا البيت وجعل يتفحصني عن قرب ويحملق في ثيابي العسكرية، ثم لم يلبث

أن أضاف وعلى شفتيه بسمة الأبوة الفطرية: حسنا.. حسنا.. لقد عدت أخيرا يا ولدي شأن جميع المجاهدين الذين لا يزالون على قيد الحياة.

- كيف حال أمي وإخوتي يا أبي..؟

- هم في أحسن صحة وعافية والحمد لله..

- لقد عدت إليك يا أبي غنيا.. وإن كانت جيوبي خالية، ولكن في ذهني ووجداني كنوز الدنيا كلها، النصر، الكرامة، الوطن الحر..

- الأب، أوه.. لقد صرت رجلا سياسيا يا بني.. المهم الحمد لله على سلامتك وسلامة الشعب الجزائري كله.. ثم جلسنا حول المائدة وتناولنا العشاء، ثم استقبلنا على الفراش نطلب النوم.. جفاني النوم ورحت أتذكر تلك البراري المترامية التي قطعتها من تونس إلى مدينة تنس وملامح الشهداء والمجاهدين الذين عنلت معهم.. ثم قررت أن لا أفكر في ماضي الحرب ولا أتذكر أحداثه ورجاله لأنام.. ملء جفوني مثل النائمين حولي: أبي وصديقه الشيخ.. ولكن وجداني قاومني على أن أغمض عيني وتقلبت على جنبي ورحت أنطق بصوت خافت بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، علهما تزيحان عن ذهني كل ما يؤرقني وأنام، لكن الذكريات الخالدة أخذت تتداعى في خلدي.. أكثر، ويجفاني النعاس من جديد، وأنقلب على جنبي الآخر ويأباني النوم، ثم أضطجع على ظهري وأسمي باسم الله، ويعود إليا بقوة منظر ديارنا الهاوية، ديار كانت بالأمس القريب تفيض بالحب والأنس والإخاء وأصبحت اليوم على النقيض من ذلك.

قضيت معظم الليل هكذا إلى أن أخذني النوم على حين غفلة أخذا، نمت نوما عميقا لم أذق طعمه منذ سنوات، وفي الصباح فتحت عيني وجدتني في أحسن ما يكون عليه الوطني حين يعود إلى دواره منتصرا على عدوه، مفتكا منه بحد السيف شرف عشيرته ووطنه.

وما حدث لديار عرشي، وما أحسست به ليلة لقائي مع أبي: هو ما حدث على مستوى التراب الوطني لمئات الدواوير والمداشر، وهذا ما أحس به المجاهدونوالمواطنون يوم لقاء عائلاتهم بعد إعلان وقف إطلاق النار بصفة عامة، وبصفة خاصة رواة هذه القصة.

وبعد هذا اللقاء التاريخي العزيز على نفوس جميع الجزائريين المعتزين بأمتهم ووطنهم، قرر رواة هذه الذكريات مغادرة دواويرهم المدمرة والإقامة بالمدن الزاخرة بمقومات الحياة الكريمة، فكانت إقامتهم النهائية في المدن الآنفة الذكر، أما كاتب هذه الملحمة إذا جاز لنا أن نسميها ملحمة،فقد غادر هو الآخر قرية الحواسنية المدمرة وقطن بمدينة خميس مليانة إلى حين تدوين أحداث (مروكب الخلود). أحداث القصة.

والخلاصة أن ما ذكرناه عن ما ألمّ بنا من خطوب ومتاعب جمة أثناء رحلتنا التاريخية هذه، ما هو في الحقيقة إلا قطرة ماء من بحر ويلات وتضحيات الثورة التحريرية التي عاشها كل الشعب الجزائري بصفة عامة،وكل المجاهدين ومواطني الأرياف الجزائرية بصفة خاصة.

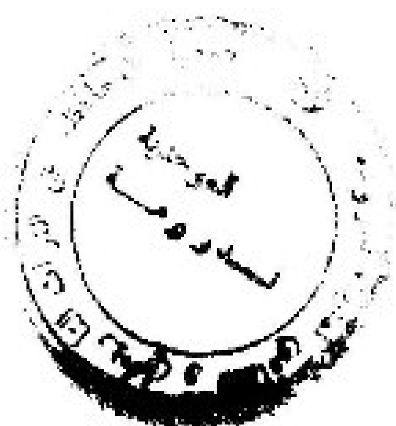
روينا هذه الذكريات رغبة منا في أن تقف الأجيال الصاعدة على ما قدمه أجدادهم من تضحيات جسام فداء لإزالة ما نزل على وطننا من طغيان مدة 132 سنة ليعيش الأحفاد أحرارا معززين مكرمين ورؤوسهم مرفوعة في شموخ وإباء في وطنهم الحر من كل تبعية أجنبية وإلى الأبد، وإيمانا منا بأن سرد قصص التضحية والفداء من أجل استرجاع عزة وكرامة الأمة الجزائرية لهي أعز وأغلى ما ينقله جيلنا الحالي إلى الأجيال الموالية.إنها ذاكرتهم الخالدة، وسجلهم الذهبي لتاريخ مجيد.. وهو شعاع الماضي والحاضر والمستقبل، كان هذا مقصدنا ورجاؤنا من تدوين هذه المذكرة حتى لا أقول هذه القصة الغالية. والله على ما قلناه شهيد.. اللهم ربنا فاشهد، قد بلّغنا مجتمعنا بكل صدق ووفاء معاناة الذين حرروا الجزائر والجزائريين.

إنتهى بتوفيق من الله

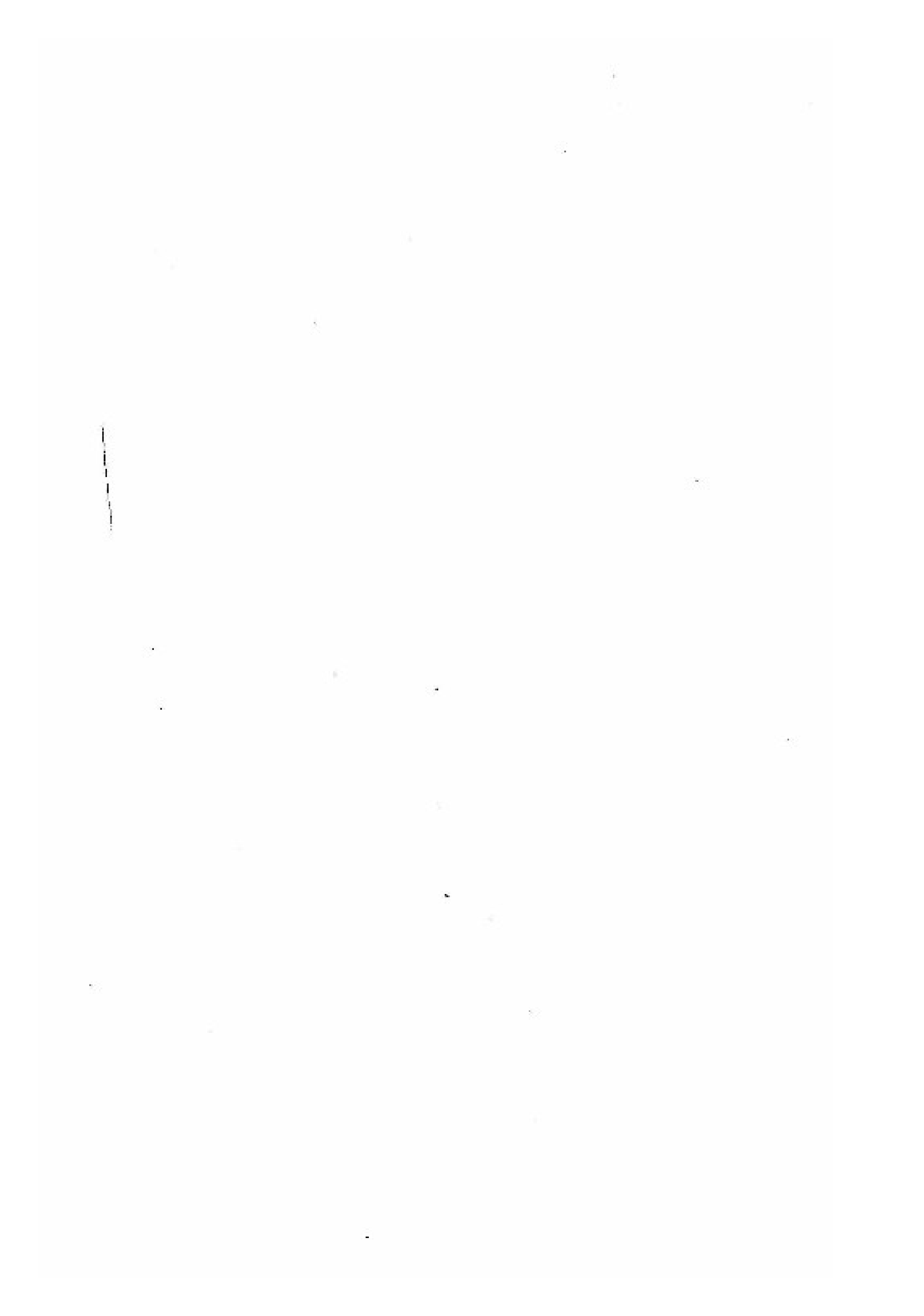
محمد بن إسماعيلي

خميس مليانة في 12 جمادى الثاني 1409هـ

الموافق لـ: 20 يناير 1989 م.



محتوى القصة



في الكتاب

تصوير صادق لأحداث رحلة مثيرة عاشها الاف المجاهدين الشباب. (فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و مابدلوا تبديلا).

ذكريات هؤلاء تعد من أهم و أخلد ذكريات ثورة نوفمبر المظفرة، لما تكتسيه من تضحيات جسام، وخطوب جمة، و من آثار جسمية ونفسية لا يحس بها إلا من ساهم فيها بروحه ووجدانه، لحظة بلحظة، خطوة بخطوة، وذاق حلوها و مرها.

إنها لرحلة حقيقية وليست من نسج الخيال، كما أنها من أعز ذكريات و بطولات الذين قدموا أرواحهم عربونا لتحرير الجزائر والجزائريين، ذلك لأن دور شبابنا بالأمس القريب هو أعلى و أخلد أدوار الحياة في التضحية و العطاء.

كان دور شبابنا إبان ثورة التحرير المباركة هو تحرير الوطن و المواطن من هيمنة المحتل الأجنبي وطغيانه. يتضح ذلك الدور الأسمى الرائع في الرحلات العديدة التي قام بها الاف المجاهدين إنطلاقا من جبال الجزائر الشامخة بإتجاه المغرب الأقصى غربا، وبإتجاه تونس شرقا لأداء المهام الخاصة المتمثلة في التدرب على الأسلحة المتطورة وجلبها الى أرض الوطن الحبيبة.

إنها قصة يمتزج فيها التاريخ بالشهادة، والشهادة بالتاريخ كاروع ما تكون التضحية و الإخلاص للذين استشهدوا و هم يعلنون الوفاء لله وللأمة و الوطن. إنها دعوة لجيل ما بعد الإستقلال حتى يكون خير خلف لخير سلف.

إنها ذكريات جديرة بالقراءة المتمعنة لإدراك المعنى الحقيقي للجهاد المقدس.

الثمن: 48 دج.